أخطاؤنا

في معالجة الأخطاء

"التي يقع فيها الناس عموماً - الزوج - الزوجة - الأبناء - الطلاب"

عادل فتحي عبد الله



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٢٦٩



عادل فتحي عبد الله





بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع ٧٨٢٣ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى

977-331-092-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

قال رسول الله ﷺ :

« الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله؟ . قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [1] .

---

(١) حديث صحيح : رواه مسلم (١٩٤) وغيره .

المقدمة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعـد :

فإن الوقوع فى الخطأ مشكلة ، لكن المشكلة الأكبر هى علاج هذا الخطأ بطريقة خاطئة ، فيحدث الفساد من حيث يراد الإصلاح ، ثم يظن من يتصدى لتصحيح الخطأ أنه قد أحسن صنعاً ، وقد لا يكتشف فداحة خطئه إلا بعد فوات الأوان ،فقد يحاول الوالد مثلاً علاج خطأ ما وقع فيه الابن ، فيتصرف معه تصرفاً غير صحيح فيتسبب هذا التصرف فى تعقيد المشكلة لا فى حلها ، وقد لا يظهر ذلك للوالد إلا بعد حين .

وقد يتسبب المعلم مثلاً فى كراهية التلميذ للمادة التى يقوم بتدريسها له نتيجة سلوك معين يقوم به تجاه هذا التلميذ لتصحيح خطئه فيتسبب مثلاً فى إحراجه وسط زملاءه ، أو إهانته إهانةً شديدة ، أو فى فقدانه للثقة بنفسه ، وقد يتسبب سلوك الزوج تجاه زوجته « المخطئة » إلى فصم عرى الحياة الزوجية ، وتشريد الأولاد ...

إن الخطأ وارد من كل الناس ، وكلنا لا نختلف على الخطأ أو لا نكاد نختلف على جل الأخطاء ، لكن قد نختلف كثيراً على علاج هذا الخطأ ، وهذا لا يمنع أن هناك قدراً مشتركاً يمكننا الإتفاق عليه من الأخطاء التى قد نقع فيها عند علاج أخطاء غيرنا ، وإن استرشادنا بخبرات المتخصصين فى المجالات التربوية المختلفة يفيدنا كثيراً فى التعرف على مثل هذه الأخطاء ، وهذا الكتاب يبين بعض هذه الوجوه الهامة من الأخطاء التى يمكن أن نمارسها مع غيرنا عند تصحيح خطئه ، والتى قد تمر علينا مر الكرام ، أو قد نكون قد تعودنا عليها ، ومن ثم لم نلتفت لخطورتها ، وكلنا يتعرض لمثل هذه الأمور ، لأننا

كلنا مسؤولون ، وكلنا محاسبون ، يقول رسول الله ﷺ : « **كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته** » [(١)] .

وكلنا مطالب أن يقدم النصيحة لغيره ، وأن يصحح الخطأ أينما وجد ، إن كان ذلك في استطاعته ، وفي الحديث : « **الدين النصيحة** » ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ ، قال : « **لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم** » [(٢)] .

والله الكريم نسأل أن ينفع بهذا العمل ، وأن يؤتي ثمرته ، وأن ينال كاتب هذه السطور دعوة صالحة بظهر الغيب من إخوانه المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عادل فتحي عبد الله

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

غرة جمادى الأولى ١٤٢٢هـ

---

(١) رواه البخاري (٦٧١٩) ، ومسلم (٤٧٠١) وغيرهما .

(٢) رواه مسلم (١٩٤) وأبو داود (٤٩٤٤) والنسائي (٤٢٠٨) وغيرهم .

أخطاء عامة نقع فيها عند تصويب أخطاء غيرنا

• النصيحة على الملأ :

لعلك سمعت من قبل مقولة « النصيحة على الملأ فضيحة »[(١)] ، نعم هى فضيحة بالفعل ، فالإنسان بصفة عامة لا يحب أن يظهر بمظهر المخطئ ، وحينما نحاول إصلاح خطأ ما فنواجه صاحبه فى جمع من الناس بهذا الخطأ فإننا بهذه الطريقة لن نفلح فى علاجه ، وذلك لأننا بهذه الطريقة نفضحه أمام الناس ، ونكشف ستره ، والإنسان لا يحب أن يُعرف عنه أنه مخطئ .

وبالتالى فإن هذا الإنسان المخطئ لن يستمع إلينا ، ولن يعترف بالخطأ أمام الناس ، وقد يتطور الأمر إلى حدوث مشكلة بين الشخص الناصح أو المصوِّب للخطأ وبين الشخص المخطئ ، أما إذا جاء الناصح إلى المخطئ فقال له عن قريب : « يا أخى إنك أخطأت فى كذا وكذا ... وكان يجب عليك فعل كذا ... » ، وبيّن له مضار فعله ، وما يترتب عليه ، فإنه بلا شك سوف يقوم بالإعتذار عن الخطأ ثم يقوم على الفور بتصحيحه إن كان ذلك ممكناً ، أو يوضح للشخص الناصح أموراً أخرى قد تكون غائبة عنه ، فينتهى الأمر باستفادة كل من الطرفين الناصح والمنصوح ، ويشعر كل منهما بامتنان للآخر ، كما يجب أن يكون الناصح لبقاً فى نصيحته ، فلا يبين للآخر جهله مثلاً أو غباءه .

---

(١) النصيحة إذا كانت تتعلق بشخص واحد فينبغى أن تكون سراً بين الناصح والمنصوح ، أما إذا كانت تتعلق بملأ من الناس كأن يتحدث خطيب فيذكر بدعة أو حديثاً مكذوباً على رسول الله ﷺ فهنا ينكر المنكر ويرد البدعة خوفاً على الناس ودينهم وعقائدهم ، وهذا لا غبار فيه وليس قدحاً فى الخطيب ولكنه حماية وصيانة لدين الله وتديُّن العباد ، وهذا له أدلة ليس هذا محل سردها .

• الأهواء الخفية :

يقول رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى** » [(١)] .

وأنت أيها الأخ المسلم عندما تريد أن تصحح خطأ معيناً يجب أولاً وقبل كل شيء أن تخلص النية لله في علاج هذا الخطأ ، وتتخلص من الأهواء الخفية تحت ستار تصحيح الخطأ « الشماتة بأحد الناس » فقد يندفع إنسان ما إلى تصحيح خطأ ما شماتةً في صاحب هذا الخطأ ، فيشهّر به بين الناس ، ويشيع القول بأن فلاناً فعل كذا ، وهو لا يبغى تصحيح هذا الخطأ ، أو أن يكف عنه صاحبه ، كلا ، إنما هدفه الشماتة [(٢)] ، وهذا الشخص محكوم على عمله بالإحباط ، لفساد نيته « **والأعمال بالنيات** » .

كذلك الشخص الذى لديه إعجاب كبير بنفسه ونظرة متعالية على الناس ، قد يندفع لتصحيح أخطاء الآخرين من منطلق بيان ذاته ، وأنه هو الصحيح السليم الغير مخطئ ، وهذا الشخص قد يلتمس للبراء العيب فقد يتهم غيره بأخطاء ليست فيه ، أو قد يتتبع السقطات فى أقوال الآخرين ، أو الهنات فى آراء بعضهم ، ثم ينسج حولها القصص والحكايات من أجل تشويه صورهم فى أعين الناس .

فهذا الشخص لا يعالج أخطاء إنما يبتدع أخطاءً من صنع عقله هو لأناس براء منها ليرضى هوى فى نفسه ، وهذا يحدث كثيراً من بعض الناس ، فإذا ما قلت له : إنك تغتاب الرجل ، قال : لا ، إنما أعظ الناس وأنصحهم لأن

---

(١) الحديث رواه البخارى (١) ، وأبو داود (٢٢٠١) والنسائى (٣٤٣٧) وغيرهم .

(٢) وفى الحديث « لا تظهر الشماته لأخيك فيرحمه الله ويبتليك » رواه الترمذى وقال : حديث حسن (١٥٨٢) رياض الصالحين .

يبتعدوا عن أخطاءه ؛ وهذا يجرنا إلى نقطة أخرى سنتحدث عنها فيما بعد –إن شاء الله – وهى المرجعية فى تحديد الخطأ .

ولقد كان رسول الله ﷺ بعيداً كل البعد عن تجريح الأشخاص ، وما كان يعيب أحداً أمام الناس أو يفضحه ، بل كان يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ... » على الرغم من فداحة أفعالهم وأنها تستحق المقت والعذاب ، لكنه ما كان أبداً ليفضحهم ، ومن ذلك قوله ﷺ فى بعض الناس : « **ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم** » ، قال الراوى : فاشتد قوله فى ذلك ﷺ حتى قال : « **لينتهُنَّ عن ذلك ، أو لتخطفن أبصارهم** » [1] .

فليحذر المسلم تلك الأهواء الخفية عند معالجته لأخطاء الغير وليخلص النية لله ، ولا يحاول أن يحرج أحداً أو يبين له أنه أفضل منه مثلاً ، بل عليه أن يتواضع عند تقديم النصح له ، ويقدم له النصح فى ثوب جميل وقول رقيق .

● عدم وضوح المرجعية عند تحديد الخطأ :

من الأخطاء التى يقع فيها من يقوم بتصحيح خطأ ما عدم وضوح المرجعية لديه أو عدم وجود مرجعية أصلاً عنده لتحديد الخطأ أو وجود مرجعية غير صحيحة ، حدث فى أحد المساجد أن صلى جماعة من الناس صلاة الظهر قصراً ركعتين ، فقام رجل كان جالساً فى المسجد ، وشن هجوماً عنيفاً عليهم قائلاً لهم : إن هذه الصلاة ناقصة ركعتين ، فردوا عليه قائلين : نحن جماعة مسافرون ولسنا من أهل هذه البلد ويجوز لنا قصر الصلاة الرباعية ، فرد عليهم قائلاً : أتبخلون على الله بركعتين ؟ إنكم شباب أصحاء ، فربما كان هذا القصر الذين تدعون للعجزة وكبار السن ، وأخذ الرجل يجادلهم وينكر عليهم

---

(١) الحديث رواه البخارى باب « رفع البصر إلى السماء فى الصلاة » (٢٧١/١) حديث رقم (٧١٧).

قصر الصلاة .

هذا الرجل – على سبيل المثال – ليس لديه مرجعية واضحة فى تحديد الخطأ ، فظن أن عدم علمه بقصر الصلاة ، يبيح له إنكارها ، واتخذ من العرف والعادة مرجعاً وحكماً ، فحكم ببطلان صلاتهم لأنه لم ير من قبل من يفعل هذا الأمر ، ثم تأول هذا الأمر بغير علم فجعله للعجزة وكبار السن إن جاز ذلك على حد تعبيره ، ولو أن هذا الرجل قرأ فى كتب الفقه لوجد أن قصر الصلاة الرباعية فى السفر أمر مشروع وسُّنة مستحبة ، ومن العلماء من جعله واجباً ، وأن النبى ﷺ لم يرد عنه مطلقاً أنه صلى الصلاة الرباعية فى السفر من غير قصر ، فقد كان يقصر دائماً فى السفر ، لذلك قال الحنفية بوجوب القصر فى السفر ، وقال المالكية أنه سُّنة مؤكدة ، وقالوا : إن لم يجد المسافر مسافراً يقتدى به صلى منفرداً ، وقال الحنابلة والشافعية بجوازه ، وأنه أفضل من الإتمام ، وليس المجال مجال بحث قصر الصلاة فى السفر ولكن الشاهد فى ذلك الأمر أن بعض الناس لا يدرك ما المرجعية الصحيحة لتحديد الخطأ فى أمر من الأمور ، ومن ثم يقع هو نفسه فى الخطأ .

ومن هنا كان من الأهمية بمكان معرفة المرجعيات المختلفة لأنواع الأخطاء مثل :

[أ] المرجعية فى معرفة الأخطاء الشرعية :

إن المقياس الواضح والمتفق عليه بين أئمة المسلمين فى تحديد الحلال والحرام والصواب والخطأ فى الشرع الإسلامى هو الكتاب وصحيح السُّنة والإجماع ، والكتاب هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين فقال :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر : ٩] .

وجعله مرجعاً لا يقدم شيء بين يديه فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) ﴾ [الحجرات : ١] .

والسُّنة الصحيحة التى وردت بطريق صحيح عن النبى ﷺ وتفضل السادة العلماء ببيانها ، هى كالكتاب واجبة الاتباع ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

ثم إجماع العلماء المسلمين ، وهو واجب الاتباع أيضاً وحجة عند غالب العلماء لقول رسول الله : « **لا تجتمع أمتى عل ضلالة** » [(١)] .

يقول الشيخ الخضرى - رحمه الله - حول حجية الإجماع - : « الخلاصة أن الأمة الإسلامية فى عصور مختلفة قررت أن الإجماع حجة قاطعة ، حتى كان فقهاء كل عصر ينكرون أشد الإنكار على من خالف رأى مجتهدى السلف ، والعادة تقضى أن مثل هذا الإتفاق لا يكون عن مجرد ظنون بل لا بد أن يكون عندهم دليل مقطوع به ، وهذا يدل على أن الأخبار النبوية التى سقناها كانت عندهم مقطوعاً بها حتى لم تكن فى نظرهم مجالاً للظن والاختلاف » [(٢)] .

والشيخ الخضرى - رحمه الله - فى الكلمات السابقة يبين أن الإجماع

---

(١) الحديث رواه أبو داود (٤٢٥٣) والترمذى (٢١٦٧) وابن ماجه (٣٩٥٠) والحاكم (٣٩١) وغيرهم بروايات متقاربة وله شواهد كثيرة .

(٢) انظر : أصول الفقه (ص ٢٨٧) للشيخ / محمد الخضرى .

حجة ، حجة قاطعة كالكتاب والسُّنة لأنه يستقى حجته من الكتاب والسُّنة [(١)] .

تلك هى المصادر الأصلية التى تعتبر المرجعية الأساسية للحلال والحرام والصواب والخطأ فى الشرع الإسلامى ، وأى قول لا يعتمد على تلك المرجعية ليس حجة ملزمةً ، كما أن الأدلة الفرعية الأخرى تستقى أحكامها من هذه الأدلة الأصلية .

ومن هنا لم يصح الإنكار على المختلف فيه بين العلماء ، يعنى لا يجوز لى أن أنكر على أحد من الناس أمراً فيه اختلاف بين العلماء ، لأن المختلف فيه غالباً ما يقوم عليه دليل ظنى الدلالة أو ظنى الثبوت .

والخلاصة :

أنه ينبغى للمنكر على الناس أمراً شرعياً أن يتبين أولاً ويتأكد من أن هذا الشيء مخالفٌ فعلاً للشرع ، ولا ينكر على أحد أمراً من الأمور المختلف فيها بين العلماء [(٢)] ، لأنها أمور اجتهادية ، بل يجوز له الدعوة إلى وجهة نظره

---

(١) من أقوى الأدلة على حُجية الإجماع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] فالإجماع سبيل المؤمنين فما أجمع عليه المؤمنون أنه حرام فهو حرام ، وما أجمعوا عليه أنه حلال فهو حلال ، وكذلك ما أجمعوا على وجوبه فهو واجب ، وقد استدل بهذه الآية الإمام الفقيه الأصولى محمد بن إدريس الشافعى ، كذلك من المراجع فى الشرع القياس الصحيح ، فمثلاً ما يسمى بالويسكى والشمبانيا ما حكمها ؟ حكمها حرام قياساً على قول النبى ﷺ : « **كل مسكر حرام** » ، أو « **كل مسكر خمر** » .

(٢) ليس كل خلافٍ جاء معتبراً إلا ما كان له حظٌ من النظر

فإذا كان الخلافُ معتبراً كلٌ له حجته ومعه دليله فهذا الخلاف يسمى معتبراً ، أما إذا كان فريق معه دليل وحجج قاطعة والآخر ما معه إلا تأملات أو حجج ضعيفة لا تقوم للاستدلال فلا يسمى هذا الخلاف خلافاً معتبراً .

وما أحسن قول الذهبى – رحمه الله – :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ، ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين قول فقيه

وإلى رأيه وبيان أدلته وحججه ، لكن لا يجوز له إلزام غيره بهذا الرأى ، وهناك أمور فرعية كثيرة مختلف فيها وستظل هكذا إلى يوم القيامة ، وهذا من سعة الإسلام وعظمته ويسره ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الدين يسر ، ولن يُشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة ، والروحة ، وشيءٍ من الدُلجة** » [(١)] .

وليس اليسر كما يظن بعض الناس أنه الانفلات من تعاليم الإسلام ، والإستهتار بالفرائض ، فإذا سئل قال : « إن الدين يُسر » ، كلا فليس هذا هو اليسر ، إنما اليسر هو اتباع تعاليمه السمحة وشريعته الغراء ، وعدم الإفراط أو التفريط لأن كليهما خطأ ، والدين بينهما يسر لا عُسر ، لم يجعل علينا من حرج ، وأباح لنا بعض المحظورات عند الضرورة ، ولم يكلفنا إلا ما كان فى وسعنا ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ولم يؤاخذنا إلا بما كسبت أيدينا ، وكل هذا من يسر الدين .

● المرجعية فى معالجة الأخطاء المهنية :

وفى مجال المهنة أو الوظيفة قد يقع البعض فى خطأ تحديد الخطأ بالضبط ، نتيجة لإفتقاده للمرجعية فى تحديد هذا الخطأ ، بمعنى أنه قد يحكم على سلوك معين بأنه خطأ ، ويقوم بتحويل صاحبه للتحقيق ثم يكتشف بعد ذلك أن هذا السلوك ليس سلوكاً خاطئاً ، لماذا ؟! لأنه كان يستند فى تحديده للخطأ على أمور غير صحيحة ، وكان من المفروض أن يستند إلى المرجعية الصحيحة وهى النظم والقوانين واللوائح التى تحكم نظام العمل أو المهنة التى ينتمى إليها لذلك بات من الواجب على كل صاحب مهنة أن يدرس وبعناية قانون العمل

---

(١) رواه البخارى (٣٩) .

أو نظام وقانون هذا العمل وهذه المهنة ، حتى يكون على دراية بحقوقه وواجباته ما له ، وما عليه ، حتى لا يقع فى خطأ وهو يظن أنه على صواب ، وحتى لا يأتى من الأعمال ما ليس من اختصاصه ، وما لا يكلفه به نظام العمل ، ويستغل بعض الرؤساء فى العمل بعض الموظفين فى أعمال ليست من اختصاصاتهم ، وتعود بالفائدة عليهم ، وليس على العمل نفسه ، ويهددونهم إن امتنعوا عن التنفيذ أن يتم تحويلهم للتحقيق ، ونتيجة لجهل هؤلاء أو خوفهم الغير مبرر يستجيبون لمثل ذلك الاستغلال ، مرتكبين بذلك أخطاء فى حق أنفسهم ، وفى حق العمل أو المهنة التى ينتمون إليها ، هذا كله طبعاً فى حالة إذا ما كان العمل غير مخالف لشرع الله وغير محرم ، أما إن كانت هذه المهنة محرمة ، فلا قيمة ولا اعتبار للقوانين واللوائح الخاصة بهذه المهنة ، ولا يجوز الإلتحاق بهذه المهنة أصلاً .

• المرجعية فى الأخطاء التربوية :

المجالات التربوية كثيرة ، ولا تكاد تخلو المجالات المختلفة من الناحية التربوية، لكن هناك مجالات تعنى أكثر بالناحية التربوية ، مثل مجالات التعليم ، ومحيط الأسرة ، والمسجد ، والمؤسسات التربوية الأخرى بكافة أنواعها ، وقد يقع بعض المسؤولين فى تلك المجالات فى خطأ عدم معرفة الخطأ التربوى ، فمثلاً قد يحكم بعضهم على سلوك بعض الطلاب بأنه خطأ ويحتاج إلى علاج وتصحيح ، ويحكم البعض الآخر على نفس السلوك بأنه على صواب ، وفى محيط الأسرة كذلك ، قد يحكم الأب على سلوك معين للطفل بأنه سلوك خاطئ وعلى العكس تحث الأم الابن على مثل هذا السلوك وتعتبره صواباً .

وهذه الازدواجية فى المعايير ترجع إلى استناد كل منهم إلى مرجعية تختلف عن الآخر ، فمثلاً الأب يستند إلى أن أباه كان يعامله بهذه الطريقة وأنه تربى على هذا ، والأم تستند إلى أن الأسرة التى نشأت فيها لم تكن تعترف

بمثل ذلك السلوك ... إلخ ... .

ومن الواضح أن المرجعية التى استند إليها كل منهما هى الأسرة أو الأب والأم ، ومع عدم إنكار هذا الدور الذى يلعبه الأب أو الأم فى التربية ، إلا أن اعتبار كل منهما مرجعية تربوية ليس بالضرورة أن يكون صواباً على طول الخط ، فقد تؤثر بعض العادات السيئة فى المجتمع فى وقت ما على طبيعة السلوك المتبع فتحكم عليه بالصواب أو الخطأ ، ثم تتغير هذه العادات وتتطور ، ومن ثم تتغير موازين الحكم على تلك الأمور ، ومعايير السلوك الاجتماعى والتربوى كثيرة وأهمها :

[١] الدين

[٢] نظريات التربية .

[٣] العرف والعادة .

[٤] الوسط الاجتماعى .

فالدين هو المعيار الأول ، والمرجعية الأولى فى تحديد الخطأ التربوى ، والإسلام قد اشتمل على كثير من المحاذير التربوية سواء كانت فى التعامل مع الأبناء ، أم فى التعامل داخل محيط الأسرة بين الوالدين ، أم فى التعامل بين المعلم والطلاب ، إلى غير ذلك من أوجه التعاملات التربوية المختلفة ، ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فى تعامله كزوج ، وكأب ، وكقائد ، وكمعلم ، والذى يدرس سيرته ﷺ سينهل من منهل عذب ، وسيجد الدواء الشافى لكثير من العلل التربوية ، وسيتعلم كيف يتعامل مع الناس ، وكيف يقدر حاجتهم المختلفة ، وكيف يفرق فى التعامل بين فرد وآخر حسب طبيعة شخصيته ... إلى غير ذلك من المعانى التربوية العميقة والتى تظهر واضحة جلية فى سيرته ﷺ .

واعتبار الدين هو المرجعية الأولية الأساسية فى التعامل مع الأخطاء التربوية

يعنى أن أى معيار آخر يخالف الدين أو يضاده ليس له قيمة ولا وزن له ويضرب به عرض الحائط ، على سبيل المثال : هناك بعض النظريات التربوية تدعى أن على المرء أن يشبع رغباته ونزواته ، وأن لا يكبت شهوته حتى لا يصاب بالكبت ، فيتعطل نشاطه ، وتقتل مواهبه وإبداعاته ، وهذه النظريات لا قيمة لها ولا وزن ، بل لا تساوى فى قيمتها قيمة الورق الذى تكتب عليه ، لأنها نظريات خاطئة فاشلة ، جاءت من عقل ملوث ، ونفس خبيثة كانت ترتع فى الشهوات الرخيصة ولم تعرف يوماً الأخلاق والقيم ، فهذه النظريات لا اعتبار لها من الناحية التربوية لأنها تخالف الدين بل تهدمه ، وتسعى للتفسخ من كل القيم والأخلاق ، فكل نظرية تربوية تخالف فى قواعدها قواعد الشرع لا اعتبار لها من الناحية التربوية عندنا .

كذلك اعتبار العرف والعادة والوسط الاجتماعى وغيرها معايير تربوية ، أمر هام ويؤخذ فى الاعتبار أيضاً بشرط عدم مخالفة ذلك كله للقواعد العامة للإسلام ، لأن كل عرف أو عادة تخالف الإسلام هى عرف جاهلى أو عادة جاهلية ينبغى أن نتركها إلى عادات وأعراف أخرى منَّ الله علينا بها ، وعلى سبيل المثال : تربية الأبناء على العصبية القبلية أو على العشائرية أو نحو ذلك من الروابط التى يعتبرها أصحابها أساس الإرتباط وأساس الوحدة وأساس قيام العلاقة بين المسلمين ، هذه التربية على مثل تلك الأمور تربية خاطئة وهى ضد الفكرة الإسلامية ، لأن الإسلام يوحِّد المسلمين على أساس العقيدة والدين وليس على أساس العصبية أو القبلية أو العشائرية ، يقول رسول الله ﷺ : « **ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية** » [١] .

---

(١) رواه أبو داود (٥١٢١) .

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال : « **مَنْ قُتِلَ تحت رايةٍ عمية ، يدعو عصبية ، أو ينصر عصبية فقتْلته جاهلية** » [١] .

والإسلام لا يرفض حب الأهل أو العشيرة والقبيلة والوطن ، لا يرفض ذلك بل ذلك واجب فى الإسلام ، لكنه يرتب الأولويات ترتيباً صحيحاً ، فالأخوة الإسلامية هى الأصل ، والتوحيد على العقيدة هو الأساس والمنطلق ، أما اعتبار العصبية هى الأساس ينحرف بالإنسان بعيداً عن الحق ، ويقترب به من طريق الشيطان فيوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين على أساس العصبيات المختلفة والقوميات المتعددة ، واعتبار رابطة الإسلام هى الأساس يوحّد صف المسلمين تحت راية واحدة ، ضد كل عدو ، وفى غزوة بنى المصطلق حين دخل الشيطان بين المسلمين، فنادى الأنصارى على الأنصار ، والمهاجرى على المهاجرين، قال رسول الله ﷺ : « **ما بال دعوى أهل الجاهلية ... دعوها فإنها خبيثة** » [٢] ، نعم فدعوى العصبية من الجاهلية ، وهى خبيثة لأنها تفرق بين المسلمين ولا تجمعهم ، والذى يدعو إليها إنما هو منافق كعبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين الذى كاد أن يشعل الفتنة فى تلك الحادثة فى بنى المصطلق .

● القسوة فى التعامل مع المخطئ :

لماذا نعتبر أن المخطئ دائماً شخصٌ منحرفٌ ، أو أنه يقصد السوء من وراء خطئه ذاك ؟! ، وقد يكون المخطئ معذوراً ، وقد يكون جاهلاً ، قد يكون مريضاً ، إن الرفق فى معالجة الخطأ والتعامل معه بهدوء وروِيَّة يفيد كثيراً فى علاج هذا الخطأ ، بينما القسوة فى التعامل مع المخطئ ، وتعنيفه أو تقريعه ، قد يزيده عناداً ، وإصراراً على الخطأ .

---

(١) رواه مسلم (٤٧٦٩) .
(٢) رواه البخارى (٣٣٣٠) .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « قام أعرابى فبال فى المسجد ، فتناوله الناس ، فقال لهم النبى ﷺ : « **دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء ، أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين** » [(١)] .

وفى رواية قال : « **لا تزرموه** » [(٢)] يعنى لا تقطعوا عليه بوله ، فالصحابة رضوان الله عليهم حينما رأوا هذا الخطأ الكبير وهو « بول الأعرابى فى المسجد » لم يتمالكوا أنفسهم وكادوا أن يقعوا بالأعرابى ، لكن الرسول ﷺ علم أن الأعرابى جاهل لا يدرى مقدار خطأ ما يفعله ، فقام بنصحه على الوجه التالى ، فقال له : « **إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من القذر والبول والخلاء ، إنما هى لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة** » [(٣)] ، وأمر بصب الماء على مكان البول فى المسجد لتطهيره .

وهكذا يكون العلاج الصحيح ، بالرفق فى التعامل مع المخطئ ، والتماس العذر له ، ثم تعليمه الصواب ، وعدم التسرع بتقريعه ولومه .

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **من أعطى حظه من الرفق ، فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير** » [(٤)] .

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال : « **من يحرم الرفق يحرم الخير** » [(٥)] .

هذا والمسلم مطالب بأن يتعامل بالرفق فى حياته كلها ليس مع المخطئ

---

(١) رواه البخارى (٢١٧) ومسلم (٦٥٧) وغيرهم .
(٢) رواه البخارى (٥٦٧٩) وغيره .
(٣) رواه أحمد (١٢٥٧٢) وغيره بمثل هذا اللفظ .
(٤) رواه الترمذى (٢٠١٣) وقال : حديث حسن صحيح .
(٥) رواه مسلم (٦٥٤١) .

فحسب بل مع أعداءه الذين يخفون عداوتهم ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام [١] عليكم ، قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله ﷺ : « **مهلاً يا عائشة ، إن الله يحب الرفق فى الأمر كله** » ، فقلت : يارسول الله أولم تسمع ما قالوا ؟! ، قال عليه الصلاة والسلام : « **قد قلت وعليكم** » [٢] .

هكذا حتى يكون الرفق مع العدو الذى يخفى عداوته بالتورية ، فتعامل معه النبى ﷺ بلباقة وذكاء [٣] .

• الإندافع والتسرع عند التعامل مع الخطأ :

إن التسرع فى معالجة الخطأ خطأ آخر ، ذلك لأنه قد ينتج عنه مشاكل كبرى تكون أكبر من الخطأ ذاته ، وعادة المتسرع والمندفع لا يستطيع التحكم فى أعضائه بدرجة كبيرة ، وقد يرتكب الحماقات ثم يندم حيث لا ينفع الندم ، وقد رأينا وشاهدنا حوادث كثيرة كان سببها حدث بسيط أو خطأ لكن اندفاع الطرف الآخر نحو صاحب الخطأ ومرتكبه ، هذا الاندفاع من ذلك الطرف أفقده توازنه فتسبب فى مصيبة من المصائب ، فعالج الخطأ بخطأ أكبر منه وإن شئت فقل عالج الخطأ بمصيبة أوردته المهالك .

وصدق رسول الله ﷺ :« **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** » [٤] .

---

(١) السام : يعنى الموت .

(٢) رواه البخارى (٥٦٧٨) .

(٣)وقد جاء فى الحديث : « يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » فنقول : وعليكم كاف وشاف ولا داعى للسب واللعن ، أما دعاؤهم علينا فلا يستجاب ، قال تعالى :﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٥٠] .

(٤) رواه البخارى (٥٧٦٣) ومسلم (٦٥٨٦) وغيرهما .

والمعنى المقصود من الحديث النبوى الشريف أنه ليس الشديد والقوى هو من يمسك إنساناً فيصرعه ويغلبه ، ولكن الشديد هو من يتحكم فى أعصابه عند الغضب فلا يندفع اندفاعاً يجلب له المشاكل حتى لو كان صاحب هذا الخطأ قد ارتكب منكراً من المنكرات فيجب أن نعالج هذا الأمر بتريث ولا نندفع فنرتكب نحن منكراً ، أكبر فى علاج هذا المنكر الأصغر ، فتكون مثل « الدبة التى قتلت صاحبها » ، أرادت أن تذب عنه الذباب فرمته بحجرة كبيرة أودت بحياته ، بل الأمر أخطر من ذلك ، فإن خطأ هذا المندفع والمتسرع فى معالجة المخطئ قد لا يودى بحياة المخطئ فقط ، بل وحياة الطرف الآخر الذى يحاول الإصلاح فيرتكب جرماً نتيجة لاندفاعه الغير محسوب العواقب ، هذا جانب من التسرع فى معالجة الخطأ ، وجانب آخر ذو أهمية لا يقل عن ذلك الجانب ألا وهو التسرع فى طلب النتيجة ، بمعنى أن الذى يقوم بعلاج الخطأ أو تصحيحه يطلب من المخطئ أن يتغير فى الحال وبسرعة ، مثل الأب الذى يجد ابنه يرتكب خطأ معيناً فينصحه بعدم ارتكابه مرة ثانية ويظن أن ابنه سوف ينتهى عن ذلك تماماً بمجرد هذا النصح وتلك الكلمة !! هذا قد يحدث فى بعض الأخطاء ، لكن هناك أخطاء كثيرة قد يكون المرء قد تعود عليها ، ومن ثم يصعب عليه إن لم يكن يستحيل أن ينتهى عنها مرة واحدة ، ومن هنا وجب على من يتعرض لتصحيح تلك الأخطاء أن يدرك تماماً أن الزمن جزء من العلاج ، وأن هناك بعض الأخطاء تحتاج فى علاجها أو الشفاء من عللها لبعض الوقت أو كثير منه ، وأكثر من يحتاج هذا الأمر الزوجان ، ففى الحياة الزوجية قد يكون الزوج أو الزوجة قد تعود على أمر ما فى سابق حياته ، وهذا الأمر قد يكون خطأ أو لا يرضى الطرف الآخر ، ولذلك كان واجباً على كل منها أن يعلم أن صاحبه لن يتغير هكذا بسهولة ، ولن ينتهى عن هذا الفعل أو ذاك بمجرد الكلام أو النصيحة أو غير ذلك ، إنما يحتاج إلى كثير من الوقت

لعلاج أخطاء أصبحت جزءً من تكوينه الشخصى .

● عدم إعطاء الخطأ حجمه الحقيقى :

من الأخطاء التى يقع فيها بعض الناس عند القيام بتصحيح أخطاء الغير بتقدير الخطأ تقديراً خاطئاً سواء بتحقيره أو تعظيمه ، وقلٌ من يتعامل مع الخطأ بتقدير صحيح ، فبعض الناس يهوّن من شأن الخطأ الكبير ، وبالتالى لا يستطيع معالجته بطريقة صحيحة أو قد يهمل علاجه بالمرة باعتبار أنه خطأ بسيطٌ ولا يستحق التعليق عليه ، وعلى العكس يقوم البعض الآخر بتكبير وتضخيم بعض الأخطاء الصغيرة والتافهة ، ومن ثم يتعامل معها بقسوة متناهية ، والذى يجب أن يكون عليه الإنسان العاقل ، والمسلم الواعى النظر إلى الأمور بمنظار واضح متزن فلا يصغر الكبير ولا يعظم الحقير ، ﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق : ٣] .

وتكون لديه نظرة وسطية تنبع من وسطية إسلامه وأمته ، فالإسلام دين وسط لا غلو فيه ولا تفريط ، والمسلم ينظر إلى الأمور نظرة وسطية ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وهناك أخطاء يمكن السكوت عليها حتى حين ، وأخطاء أخرى لا تقبل المساومة ولابد أن نقف منها موقفاً واضحاً وصريحاً ، والمسلم الذى ينظر إلى الأخطاء بمنظار عليه غبش فلا يدرك قيمة الخطأ الذى يتعامل معه يفسد أكثر مما يصلح ، أو يفسد وهو يظن أنه يصلح ، وهناك ما يعرف بفقه الأولويات ، وهو معرفة الشىء الأولى بالإتباع ، والموازنة والترجيح بين المصالح والمفاسد المترتبة على فعل الشىء أو تصحيح الخطأ وعلاجه .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « **قال لى رسول الله ﷺ** : « **لولا**

حداثة عهد قومك بالكفر [(١)] لنقضت الكعبة ، ولجعلتها على أساس إبراهيم ، فإن قريشاً حين بَنَتِ البيت ، واستقصرت [(٢)] ، ولجعلت لها خلفاً » [(٣)] .

قال الإمام النووى رحمه الله تعليقاً على الحديث السابق :

« وفى هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها : إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة ، ولكنْ تُعارضه مفسدة أكبر منه ، وهى خوف فتنة بعض من أسلم قريباً ، وذلك لما كانوا يعتقدونه فى فضل الكعبة فيرون تغييرها منكراً عظيماً ، فتركها ﷺ ... قال العلماء : بُنى البيت خمس مرات بنته الملائكة ، ثم إبراهيم عليه السلام ، ثم قريش فى الجاهلية ، وحضر النبى ﷺ هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس وعشرون ، وفيه سقط على الأرض حين وقع ازاره ، ثم بناه ابن الزبير ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفى ، واستمر إلى الآن على بناء الحجاج ، وقد ذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس عن هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث المذكورة فى هذا الباب ، فقال مالك : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت لُعبةَ الملوك لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه فتذهب هيبته من صدور الناس » [(٤)] .

---

(١) يعنى قربهم من الكفر ، وخوف الفتنة عليهم .

(٢) استقصرت يعنى : قصرت عن تمام بنائها .

(٣) الحديث بهذا اللفظ رواه مسلم (١٣٣٣) والحديث رواه البخارى أيضاً (١٥٠٦) ومالك (٨٠٢) وابن حبان (٣٨١٥) وغيرهم بألفاظ متقاربة .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (١٠٢/٥ ١٠٣) . ط . دار الحديث .

فهناك أخطاء يمكن أن تترك إن كان في إزالتها منكر أكبر ، أو خطر داهم ، وعلى المرء بفطنته وذكاءه أن يدرك هذا الأمر ، فيقدر الأمور قدرها ويوازن بين المصالح والمفاسد [(١)] ، وإن اختلط عليه الأمر فليسأل من له علم وبصيرة ، ولا يتكبر عن معرفة الحق ، فإن الغبي حقاً هو من يظن أنه عالم وهو جاهل ، أو ظن أنه يعلم وهو لا يعلم . وهذا هو المتكبر عن سؤال أهل العلم .

• عدم مراعاة عامل السن عند المعالجة للخطأ :

نحن نقع كثيراً في خطأ عدم مراعاة عامل السن في الشخص الذي نُقَوِّمُ أخطاءه ، أو نعالج مشكلاته ، وهذا أمر خطير جداً ، لأن معالجة أخطاء الطفل غير معالجة أخطاء المراهق غير الراشد غير الكهل ... إلخ .

فكل طبيعة عمرية للإنسان لها خصائصها ومميزاتها ، وإذا فشلنا في التعامل مع هذه الخصائص أو لم نضعها في الاعتبار عند معالجة أخطاء أصحابها فسوف نقع في مشكلات أكبر ، ولن نفلح في مهمتنا .

فالطفل الصغير مثلاً يحتاج منا إلى معاملة فيها الحب والعطف والرعاية ، ولا يقبل منا تصويب أخطاءه عن طريق الشدة أو الأمر والنهي ، وإلا فسوف يعاند وينفذ عكس ما نأمره به ، كما أن لمرحلة الطفولة بعض الأمور والتي قد يعتبرها الكبار أخطاءً تحتاج إلى تصحيح لكنها في هذه المرحلة لا تعتبر كذلك

---

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله مراتب تغيير المنكر :

[١] أن يزول بالكلية .

[٢] أن يضعف المنكر ويقل ويضمحل .

[٣] أن يتولد عنه منكر أقل منه .

[٤] أن يتولد عنه منكر أعظم منه .

فلا شك في مشروعية الأوليين ، والثالثة محل اجتهاد ، والرابعة لا شك في تحريمها بمعنى ألا يقدم على تغيير هذا المنكر لما يتولد عنه من منكر أعظم منه .

ولا يجب التعليق عليها ، وسوف نتعرض لذلك لاحقاً .

كذلك معاملة المراهق على أنه ما زال طفلاً وأمره ونهيه بصورة غير لائقة تشعره بأنه لا زال صغيراً أمر من شأنه أن يزيد من تمرده ويؤثر سلباً على صحته النفسية ، وهو فى مرحلة تغير خطيرة ، يشعر عندها أنه أصبح رجلاً مسؤولاً ، وأنه يستحق أن نعامله كرجل وليس كطفل ، بالرغم من صغر سنه الذى قد يدعونا إلى الاستهزاء بكلامه أو السخرية منه ، لكننا يجب أن لا نغفل هذا ، بل علينا أن نعامله كرجل حتى نمنحه الثقة بنفسه ، ولا نصطدم معه فى هذه المرحلة العمرية الخطيرة والمتقلبة .

فإذا لم نقرأ عن هذه المرحلة وكيفية التعامل مع المراهق لم نحسن معالجة أخطائه ، وقد نصطدم معه كثيراً إن تعاملنا معه كما نتعامل مع الكبير .

كذلك التعامل مع كبار السن له ظروفه الخاصة ، وطُرقه المختلفة ، فمثلاً لمعالجة خطأ ما قد وقع فيه من هو فى منزلة الوالد لابد من تغليف هذه المعالجة بشىء كبير من الاحترام والتقدير وتقديم عظم المنزلة والمكانة ، وهذا إبراهيم عليه السلام يعظ أباه ويدعوه لترك عبادة الأصنام ، فيقدم هذه الموعظة بكلمة ترقق القلب ، وهى قوله : ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾ [مريم : ٤١ - ٤٢] .

وفى كل عظة يكرر قوله له ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ إنها دعوة مخلصة من القلب لهدايته ، وفيها كل الاحترام لشخصيته ، وليس بها تجريح ولا يُشتم منها رائحة التكبر عليه ، بل تجد فيها الخوف والإشفاق عليه ، بخلاف ما قد يفعله البعض عندما يجد من هو أكبر منه سناً وقد أخطأ فيندفع لنهره بشدة ويفضحه بهذا الخطأ أمام الناس ، فيكسب عداوته ولا ينتفع ذلك المخطئ بنصيحته .

• معالجة الأعراض دون معالجة أسباب الخطأ :

من الأخطاء التى نقع فيها عند محاولة معالجة أخطاء الآخرين عدم معرفتنا الدقيقة بأسباب تلك الأخطاء ، ومحاولتنا علاج الأعراض ظناً منا أنها الأسباب الأساسية للأخطاء ، ومثال ذلك عندما يحاول الوالد أو المعلم معالجة خطأ وقع فيه طفل كالسرقة مثلاً ، فقد يلجأ لمعاقبة الطفل عقاباً شديداً وتخويفه ، وهو بذلك يعالج العرض فقط ، ولم يبحث وراءه عن السبب أو الأسباب التى جعلت مثل هذا الطفل يلجأ للسرقة ، فقد يكون عدم إعطاء الطفل مصروفاً أو عدم إعطائه مصروفاً مناسباً وراء هذه السرقات ، وقد يكون السبب وراء ذلك هو مشاهدة الطفل مثل هذا السلوك من أحد إخوته الكبار أو ممن يمثلون له القدوة والمثل الأعلى [١] .

وقد يكون السبب من وراء سرقات الطفل عدم فهم الطفل لحقوق الآخرين ، وهذا خطأ قد يقع فيه الوالدان ، حينما يعتدى الطفل أمامها على حقوق الآخرين ولا يرشدان الطفل إلى أنه لا يجوز له أن يعتدى على حق الغير ، أو يعتدى الغير على حقه ، لابد أن يتم تربية الطفل ومنذ سنواته الأولى على احترام حقوق الآخرين ، وعدم الاعتداء عليهما أو أخذهما بدون علمهم ، بهذا سوف يدرك الطفل أنه ليس له حقّ فى أملاك غيره ، كما أن غيره ليس له حق فيما يمتلك هو .

الخلاصة :

أنه يجب علينا أن نهتم بعلاج الأسباب الأساسية للأخطاء ، لأن بعلاجها

---

(١) أو من خلال المسلسل والفيلم الذى يشاهده عبر التلفاز الذى يجسم الجرائم ويحكيها بالتفاصيل ليعلم الكبير والصغير .

فعلاً يتم علاج الأخطاء علاجاً حقيقياً وليس علاجاً وهمياً ، أما علاج الأعراض الظاهرة ، فلا يمثل علاجاً حقيقياً ولا حلاً جذرياً للمشاكل .

وهذا أمر يختلف عن التماس العذر للمخطئ ، فالتماس العذر للمخطئ يمكن أن يتم فى الأخطاء الغير مقصودة أو الأخطاء الغير أخلاقية ، تلك الأخطاء يمكننا أن نلتمس فيها العذر للمخطئ لظروف ما من الظروف ، أما الأخطاء الغير أخلاقية فلا يلتمس فيها العذر ، وإنما نبحث عن الأسباب الكامنة من وراءها محاولين علاجها ، حتى يتم العلاج الجذرى للمشكلة ، كما أن هناك عقوبات رادعة بالنسبة لبعض الأخطاء الأخلاقية للكبار ينبغى عدم التهاون فيها من قبل السلطة ، لأن التهاون فيها يعنى ضياع الفرد والمجتمع .

أما أخطاء الكبار التى لم تحدد لها عقوبات كالكذب مثلاً ، فينبغى علاجها معهم بطريق النصيحة المخلصة ، والتربية الإيمانية المتينة ، فإن أهم شيء فى علاج تلك الأخطاء هو التربية الإيمانية والتربية الأخلاقية ، وليت الوالدين يدركان خطورة التربية منذ الصغر وخطورة إهمال الأولاد من هذه التربية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم ٦] .

وفى الحديث : « **إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته** » [1] .

---

(١) رواه ابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

أخطاؤنا في معالجة أخطاء الأبناء

● العنف والقسوة مع الابن :

يظن البعض أن استعمال أسلوب العنف والقسوة هو الحل الأمثل لعلاج أخطاء الطفل ، ويقول أن العنف هذا سيجعل الطفل يخاف من العقاب فلا يأتي الطفل الخطأ ، وهنا لابد أن نوضح أمراً هاماً وهو أن هناك فرقاً بين عقاب الطفل ، وبين استخدام العنف والقسوة خلال هذا العقاب ، فالعقاب له أساليب مختلفة وليس أسلوباً واحداً ، كما أن استخدام الضرب كأحد الوسائل العقابية للطفل لا يعنى أيضاً العنف والقسوة ، فضرب الطفل له شروط وليس كضرب الحيوان مثلاً ، وحتى الحيوان فإن الرسول ﷺ أمرنا بالرحمة به .

وإن كان الإسلام قد أقر الضرب كأحد الوسائل العقابية للطفل فقد جعله مشروطاً بسن معين وبضوابط معينة ، فمثلاً حين يقول رسول الله ﷺ : « **علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع** »[1] ، فإن الضرب هنا قد اشترط فيه بلوغ الطفل عشر سنين ليس أقل من ذلك ، وهو ضرب نهر وتأديب لعدم النسيان أو التكاسل عن الصلاة ، وليس ضرباً مبرحاً أو عنيفاً ، ومن شروط هذا الضرب ألا يكون فى مكان مؤثر كالضرب على الوجه أو البطن أو الرأس ونحو ذلك ، لأنَّ الضرب فى هذه الأماكن قد يؤذى الطفل إيذاءً شديداً ، ولكن لنضربه على اليد ، كما أن الضرب على الوجه ممنوع فى الإسلام لأن فيه امتهاناً لكرامة

---

(١) رواه الدرامى (١٤٠٣) وابن خزيمة (١٠٠٢) والحاكم (٩٤٨) وصححه .

الإنسـان ، وهذا لا يرضى عنه الله تعـالى ، وفى حـديث رسـول الله ﷺ : « **لا تضرب الوجه ولا تقبح ...** » [(١)] .

والحـديث إن كـان خاصـاً بمعاملة الرجل زوجتـه إلا أنه يبين أن ضـرب الوجه غير جائز لأنه مثل التقبيح أو الشتم وهو يمثل إهانة للإنسان ، وليست الإهانة هدفاً للعقاب فى الإسلام يتم السعى إليه ، إنما هدف العقاب هو ردع المعاقب وتقويم سلوكه واعوجاجه ، وقد يظن البعض أن المطلوب القسوة مع الأبناء حتى يشبوا على طاعة الأوامر ، وهذا غير صحيح ، فالأصل فى معاملة الطفل الرحمـة بـه ، وإظهـار الحـب والعطف والحنـان له ، وإشعاره بـذلك ممن حـوله وبخاصـة الوالدين ، ولقـد ضـرب لنا رسول الله ﷺ أروع المثل فى حب الأولاد والعطف عليهم وإحسان معاملتهم ، يقـول أبو بريدة : « **كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال: صدق الله** ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] ، **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما** » [(٢)] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « **كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، وإذا رفع يده أخذهما بيده من خلفه ، أخذاً رفيقاً ، ويضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته ، أقعدهما على فخذيه ، قال : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله**

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٢٠) وأبو داود (١٢٤٢) والنسائى (٧١٩١) والبيهقى فى الكبرى (١٥١٤٦).
(٢) سنن البيهقى الكبرى (٥٩١٣) صحيح (٣٧٥٧) صحيح الجامع .

أردهما ؟ ، فبرقت برقة ، فقال لهما : الحقا بأمكما ، قال : فمكث ضوءهما حتى دخلا » [١] .

إنها رحمة رسول الله ﷺ بالعيال والصبيان ، وهي رحمة ورثها أصحابه رضوان الله عليهم ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف بشدته يدخل عليه الأقرع بن حابس فيجده يقبّل أحد أولاده ، فيتعجب الأقرع بن حابس لذلك ، ويقول لعمر أتقبّل الصبيان ؟! ، إن لي عشرة أولاد ما قبّلت منهم واحداً ، فردّ عليه عمر قائلاً : وماذا أفعل إن نزع الله الرحمة من قلبك ؟! .

فالرحمة خلق الإسلام كالعدل والإحسان، والله تعالى يقول عن نبيه ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، فديننا دين الرحمة ، ودستورنا دستور الرحمة ، ففي الحديث الصحيح : «**الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء** » [٢] .

وعلماء التربية بصفة خاصة لا يقرون استخدام أسلوب العنف أو القسوة في تربية الأبناء ، لما له من مضار جسيمة على أخلاق الطفل ، والتي قد تمتد معه لسنوات عمره المتأخرة ، وهذا ما يؤكده العلامة ابن خلدون – رائد علم الإجتماع – حيث يقول في مقدمته ما نصه : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة ، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له ، إن من يعامل بالقهر

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٠٢٨١) .
(٢) رواه بهذا اللفظ الحاكم (٧٢٧٤) وصححه ، والترمذي (١٩٢٤) وقال : « حديث حسن صحيح » وأبو داود (٤٩٤١) والبيهقي في الكبرى (١٨٤٠٧) ، وفي الشعب (١١٠٤٨) وغيرهم .

يصبح حِملاً على غيره ، إذ هو يصبح عاجزاً عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوّه من الحماسة والحمية على حين يقعد عن اكتساب الفضائل ، والخلق الجميل ، وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى إنسانيتها » [١] .

إن أسلوب البطش والقهر ليس أسلوباً تربوياً ولا يمكن أن يكون كذلك ، إنه أسلوب العاجز عن التعامل مع الطفل ، ولكى تتعامل مع الطفل بطريقة صحيحة يجب عليك أن تقرأ عن الطفل وعن نفسيته ، وعن صفاته ومراحله العمرية المختلفة حتى تفهم طبيعته ، ثم عليك أن تتحلى بالصبر والصبر الجميل ، وأن تكون رفيقاً ، فالرفق خلق من أخلاق الإسلام العظيمة .

● عدم تقدير عقلية الطفل :

بعض الآباء يقابل أعمال الابن بنوع من الاستهزاء والسخرية ، ولا يقدر آراءه وأفكاره ، وربما يضحك من كلام الطفل ، وهذا الأمر وإن كان لا يؤثر كثيراً على الآباء إلا أنه يسبب لهم فى المستقبل أثراً خطيراً حين يرون هذا الطفل وقد أصيب بالإحباط من كثرة سخرية الأب منه أو الأم ، وتضمحل قوى هذا الطفل الذهنية ، ولا يحاول أن يفكر كثيراً أو يبدع .

وعلى سبيل المثال إذا قام الطفل بكتابة أبيات من الشعر ، وقد تكون هذه الأبيات غير موزونة وركيكة ، لكن هذا الطفل قد يشعر بالزهو والفرحة بعد كتابة تلك الأبيات ، فإذا قام الطفل بعرض هذه الأبيات على الوالدين فقام الوالدان بالسخرية منه وقالا : إن هذه الأبيات غير موزونة وركيكة ، فإن الطفل بلا شك سوف يصاب بالإحباط ، ويكون الوالدان هما السبب فى قتل موهبة هذا الطفل ، والصواب الذى ينبغى أن يفعله الوالدان تجاه هذا الطفل وكتاباته

---

(١) « مقدمة ابن خلدون » نقلاً عن « تربية الأولاد فى الإسلام » د . عبد الله ناصح علوان .

هو أن يقوموا بتشجيعه ويمدحان فعله ، ويقولان له : إن هذه أبيات جميلة ، ولكنها تحتاج للوزن والقافية ثم يوجهانه التوجيه السليم نحو تعلم أوزان الشعر وممارسته ، ويطلبان منه الاستمرار فى كتابة الشعر كلما استهوته نفسه لذلك مع الذهاب إلى المكتبة والاطلاع على الشعر الجيد ، والتعرف على الشعراء الموهوبين والإستفادة من خبراتهم ومصادقتهم .

فتشجيع الطفل أمر ضرورى جداً وفى غاية الأهمية ، ومما يفيد فى هذا الأمر أن نعطى الطفل أعمالاً معينة نحن نعلم أنه يستطيع القيام بها ، ثم نمتدح فعله هذا ، وبهذا نزرع له الثقة فى نفسه ، وعدم التزعزع أو التردد .

إن الطفل حين يتعلم يخطئ كثيراً ، وهذه الأخطاء لابد منها للتعلم ، ولا تستحق العقاب أو السخرية والإستهزاء ، وقد تكون بعض الأخطاء شرفاً للطفل ، ودليل ذكاء ، وليس غباء ، فالطفل الذى يحاول أن يرسم عملاً فنياً معيناً فيأتى بعناصره متكاملة لكنه يخطئ فى مكونات هذا العمل الفنى ، فيرسم بعض الرسومات مشوهة مثلاً ، هذا الطفل لم يخطئ لأنه سبق أقرانه فى فهم عناصر العمل الفنى ، فقام برسم موضوع متكامل ، لكن لقلة خبرته فى الرسم لم يحسن رسم عناصر هذا الموضوع ، أو لم يحسن رسم بعض مكوناته ، لذلك فإن علينا أن نمتدح هذه النقطة فى الطفل ونعلم أنه طفل موهوب ثم نقوم بتوجيهه التوجيه السليم من غير لوم أو توبيخ لهذا الطفل ، فلا بد من تقدير عمل الطفل ، وتقدير عقليته وطريقة تفكيره ، وعدم السخرية منها ، ثم توجيهها الوجهة السليمة .

هذا بخصوص الطفل قبل سن المراهقة ، فإذا ما وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة احتاج منا إلى تقدير أكثر ، وطريقة أكثر حساسية فى التعامل ، فالطفل فى هذه المرحلة ونتيجة لبعض التغيرات الفسيولوچية التى تطرأ عليه ، يشعر بأنه أصبح رجلاً ويريد أن يتعامل معه الكبار على هذا الأساس .

فهذا المراهق إذا أخطأ خطأً ما لا ينبغي أن نضرب على هذا الوتر الحساس فنتهم عقله بالقصور أو نسخر من قدراته وإمكاناته ، فهذا أمر شديد الخطورة ، لكن يجب علينا أن نحترم عقليته وطريقة تفكيره ، ونشركه معنا فى الرأى ، ونشعره بأنه فرد فى الأسرة له احترامه ، ولآرائه كل التقدير ، فأخطاء المراهق يجب التعامل معها بحذر ، ويجب عدم تسفيه آرائه أو السخرية منها ، مع العلم بأن الطفل فى مرحلة المراهقة يصبح أكثر حساسية من مراحله السابقه ، ومع هذا فهو أكثر إبداعاً ، فهذا السن تظهر فيه الإبداعات ، وتشرأب فيه الهوايات ، وتستبان الميول والرغبات ، ويجب على الآباء معاونة الطفل المراهق على حسن التعامل مع البيئة فى الظروف الجديدة التى تعتريه ، وأن يعداه للاعتماد على النفس ، وهذا يكون بالتشجيع ، وبتكليفه ببعض الأعمال المنزلية التى يستطيع القيام بها .

● **رشوة الطفل :**

وهى أن يتعود الوالدان وبصفة دائمة رشوة الطفل على أعماله المرغوبة والتى يريدان منه أن يفعلها ، مثل أن تقول له الأم مثلاً : « أنت لو بطلت شقاوة سأعطيك شيكولاته ... » إن استخدام هذا الأسلوب بصفة مستمرة فيه خطورة بالغة على الطفل ، ولا يصح أن يكون أسلوباً لعلاج أخطاء الطفل ، نعم إنه قد يكون مريحاً للوالدين بصفة مؤقته لكن هذا الأسلوب يعوِّد الطفل على ألاَّ يعمل الصواب إلا إذا كانت هناك مكافأة منتظرة ، وهذا شيء خطير ، ينبغى على الطفل أن يتعلم أنه يجب أن يفعل الصواب ويبتعد عن الخطأ ليس انتظاراً للمكافأة ولا هروباً من العقاب وإنما لأن هذا هو الواجب أن يفعله حتى يصبح فرداً صالحاً فى المجتمع ، حتى يقوم بأداء ما عليه من حقوق وواجبات ، وهناك أمر آخر فى غاية الأهمية، وهو أن الآباء غالباً ما ينسون وعودهم للأبناء، أو لا يقدرون على الوفاء بها نتيجة لظروف معينة ، وهذا أمر خطير يفهمه

الأبناء ، ويدركون أن آباءهم يكذبون عليهم أو يخدعونهم ، ومن ثمّ يشب الأبناء على هذا السلوك السيء ، ويعتبرون الكذب أو الخديعة أمراً عادياً ، وقد حذر الرسول ﷺ من الكذب على الأبناء ، ويقول عبد الله بن عامر : « كان رسول الله ﷺ فى بيتنا وأنا صبى، قال : فذهبت أخرج لألعب ، فقالت أمى : يا عبد الله تعال أعطك، **فقال رسول الله ﷺ** : « **ماذا أردت أن تعطيه؟** » ، قالت : أعطيه تمراً، قال: «**أما إنك لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة** »[1] .

فالإسلام يقرر أن الكذب على الصغار مثل الكذب على الكبار سواء بسواء ، فهو إثم يستحق العقاب ، بل ربما كان أشد خطراً لأنه يمنح الطفل السلوك السيء ويعوّده عليه ، وذلك حين يجد القدوة السيئة من الأب أو الأم ، أو الكبار بصفة عامة .

لا مانع من مكافأة الطفل على بعض أعماله لكن الخطورة فى كون تعليق العمل على المكافأة بحيث يشترط الطفل أن لا يعمل ما يرضى الوالدين إلا إذا حصل على كذا وكذا ، هذا أمر خطير ، فبالإضافة لما سبق بيانه فإنه يعوّد الطفل على عدم طاعة الوالدين إلا إذا حصل على مكافأة ، والمفروض أن يفهم أن طاعة والديه فى المعروف واجبة ، وأنهما ذوا فضل عظيم عليه ، وأن لا ينتظر من طاعتهما أو تلبية رغباتهما وحاجتهما مكافأة أو إحساناً ، وأن يلقنه الوالدان منذ الصغر ما لقنه لقمان الحكيم لابنه الصغير ، وما جاء فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ**

(١) رواه أحمد فى مسنده (١٥٢٧٥) حديث حسن (١٣١٩) صحيح الجامع .

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ [لقمان : ١٤ ، ١٧] .

● أخطاء الأم مع الطفل :

لاشك أن أكثر شكاوى الأمهات من الأطفال الصغار تدور حول مشكلة رفض الطفل للطعام ، مما يدفع الأم لبذل المساعى والجهود المضنية لدفع الطفل دفعاً وبكل وسيلة نحو الطعام ، فتقع الأم حينئذ فى أخطاء جسيمة ، هذه الأخطاء لا تفلح فى معالجة هذه المسألة ، بل على العكس تعزز من موقف الطفل ، وتزيده عناداً وإصراراً وتمسكاً بمبدئه ، ويناقش الدكتور / دجلاس توم هذه المشكلة فى « مشكلات الأطفال اليومية » فيقول : « ... ولا نود بالطبع أن نحط من قيمة الإقبال على الطعام كدليل مفيد نتعرف منه على صحة الطفل العامة ، ومع هذا فمن الواجب أن ندرك أنه من الصعوبة بمكان أن نضع المعايير الدقيقة لغذاء الطفل ، لأنه لا يلزم أن يكون كل الأطفال من وزن واحد على طول واحد فى سن معينة ، ولن ينجم أى ضرر ، إذا نحن أخفقنا فى الوصول بهم إلى ما نسميه « المعايير » أو إذا هم رفضوا فى بعض الأحايين وجبة أو اثنتين من وجبات الطعام ، فإذا عرفنا أن بالطفل نزعات فطرية نحو القوة والظهور ، وأن الأساليب التى يشبع فيها تلك الميول ساذجة ومحدودة ، لم يكن مما يبعث على العجب أن نرى الصغار يلجؤون إلى هذه الطرق لفرض أنفسهم علينا ، وقد يغيب عن الأم تماماً أن ابنها الصغير عندما يأكل أو يرفض الأكل مثلاً يستطيع بذلك أن يسيطر على جانب كبير من نشاطها ، كأن يجعلها تجلس لإطعامه ، أو تقص عليه الأقاصيص ، أو تغريه وترشوه أو تهدده ، بل أن تدمع عيناها حنقاً وغضباً ، وقد تخفى على الطفل العوامل التى تدفعه إلى سلوكه قدر خفاء العمليات الفسيولوچية التى يهضم بها غذاؤه ، لكنه مع

هذا يشعر بقوته وسطوته ، ويحس بما تبعته هذه القوة فى نفسه من الرضا ، يماثل ذلك الرضا الذى يشعر به فى راحته عقب قيلولة هانئة أو أكلة طيبة .

هناك إذن خطأٌ عظيم تتعرض له الأم ، ويؤدى بها إلى الإخفاق فى تحقيق غايتها ، إذاً هى بدأت الوجبة بتذكير أن عليه أن يتناول غذاءه لا أن يتركه ويذهب بدونه ، ذلك لأنه يكون قد كشف من قبل أنه ليس فى الواقع مرغماً على قبول أحد الأمرين ، إذ أنه يعرف أن التهديد على الدوام يسبق الإلحاح والرشوة ، وهو لهذا يجد نفسه فى موقف يخوله حق الإختيار عندما يشاء .

هذا لأن الأم إذا بالغت فى حنانها وأسرفت فى قلقها واندفعت دائماً إلى قبول أيسر الحلول ، يضاف إلى ذلك أن الطفل يشعر بالأمن وقوة المركز ، لأن التجارب المتوالية علمته أنها لا تذهب بعيداً فى تهديدها بالعقاب ، بل إنها سوف تجلس آخر الأومر لإطعامه ، غير أن لذة الموقف عنده لا تقف غالباً عند هذا الحد ، لأن شدة رعاية الأم وهول اضطرابها يدفعها إلى التحدث عن الصعاب التى تلقاها فى تغذية الطفل مع الجيران والصحاب ومع بقية أفراد الأسرة ، وهكذا يصر الطفل على نيل ما يبغيه من ارتياح إذ يظفر بالحصول على أكبر جانب من مدار الحديث فى الأسرة » [(١)] .

فمن الواضح أن الطفل يسعد بإلحاح الأم عليه بتناول الطعام ، ويشعر حينئذ بتعزيز مركزه الاجتماعى فى الأسرة ، وإن كانت هذه مشاعر خفية لا يدركها الطفل كما ندركها ، لكنه وبطبيعته ينساق وراءها ، ومن ثم يستمر فى رفضه للطعام ليصبح مركزاً للاهتمام ، فعلى الأم أن تدرك هذه الحقيقة ثم عليها أن تتعامل مع الطفل بأسلوب مختلف ، فتضع الطعام ولا تلح عليه فى

---

(١) « مشكلات الأطفال اليومية » د / دجلاس توم ، ترجمة د / اسحق رمزى .

الأكل أو عدمه ، ولتكن وجبات الأكل منتظمةً ، ويوضع الأكل فترة مناسبة فإن لم يأكل الطفل يؤخذ الأكل ولا يترك للطفل يعبث به ، أو يتخذه وسيلة للعب ، إذن قلق الأمهات تجاه أكل الأولاد هذا القلق يشكل عائقاً أمام الطفل فى قبول أنواع معينة من الطعام ، وهى تلك الأنواع التى يصر الوالدان أو الأم خصوصاً على أن يتناولها الطفل ، أما التعامل مع الطفل بشكل طبيعى بخصوص موضوع الأكل وعدم القلق إزاءه أو عدم إبداء الاهتمام الواسع والرغبة الأكيدة فى أكل الطفل يجعل الطفل أشد إقبالاً على الطعام .

● معاقبة الطفل على أخطاء لا يدركها :

الطفل قد يأتى كثيراً مما لا يروق للوالدين ، ولكن هل كل ما يفعله الطفل – مما نعتبره نحن أخطاء – يستحق العلاج ؟ ، وإذا كان يستحق العلاج فهل يستحق العقاب ؟! .

وللإجابة على السؤال الأول نقول : إن هناك الكثير من أفعال الطفل أفعال طبيعية ، ولا تحتاج إلى علاج أو تقوم بقدر كبير ، فمثلاً « شقاوة » الطفل أمر طبيعى ، فالطفل لديه طاقة كبيرة ، ولابد أن يستنفذها فى اللعب ، وأنت تطلب من الطفل أن يجلس صامتاً وأن يكفَ عن اللعب هذا أمر غير صحيح ، لكن من الممكن أن نوجه لعب الطفل نحو ألعاب أقل ضوضاء وأقل تخريباً وتحطيماً ، مع اعترافنا أن الطفل لديه رغبة فى التخريب والتحطيم ولابد أن يشبع هذه الرغبة فى التحطيم ، لذلك وجب علينا أن نعطيه أشياء غير مهمة ونحن نعلم أنه سوف يقوم بتحطيمها ، ونحاول أن نعلمه الإستفادة من حطام هذه الأشياء ، وأن نعلمه أن هناك أشياء خطيرة يجب الحذر منها وعدم الاقتراب منها أو اللعب بها .

فمن يعتبر أن لعب الطفل وعبثه وتحطيمه لبعض الأشياء من يعتبر هذه

أخطاء للطفل غير مدرك لطبيعة هذا الطفل ، لأن هذه الأشياء طبيعية ، بل إن الطفل الساكن الهادى قليل النشاط هو الطفل الغير طبيعى والذى يحتاج إلى علاج .

كما أن هناك ما يقع من الطفل ويعتبر من الأخطاء الكبيرة ، لكنه لا يعاقب عليه ولكن يعالج ، ومثال ذلك : تبول الطفل لا إرادياً ليلاً ، بعض الأطفال يستمر فى التبول الليلى لا إرادياً حتى سن متأخرة من سنوات الطفولة ، فتندفع الأم إلى عقابه ، أو يندفع الأب إلى عقابه ، وأحياناً يعيرانه وسط إخوته بأنه لا يزال يتبول ليلاً هو نائم ، وهذا الأمر فى غاية الخطورة لأنه لا يحل المشكلة ، لكنه يزيد الأمر تعقيداً ، ويساعد فى دفع نفسية الطفل نحو الأسوأ ، فالطفل الذى يبلل فراشه ليلاً هو غالباً طفل غير منسجم مع نفسه ، ويعانى من مشكلات نفسية ، أو أزمات تحتاج إلى علاج نفسى ، وعقاب الطفل أو معايرته على هذا الأمر يزيد الأمر سوءً ، ولكن الواجب على الوالدين إنْ وجدا طفلهما قد بلغ الخامسة من عمره ولا يزال يبلل فراشه ليلاً أن يذهبا به إلى الطبيب المختص، فيجرى له الفحوصات اللازمة ، فإن تم التأكد من سلامته الصحية ، فليذهب به الوالدان إلى الطبيب النفسى ليعالجه ، والأمر لن يستغرق مدة طويلة ، ومما يفيد فى علاج هذه الحالات رعاية الطفل وعدم تعنيفه أو عقابه على هذا الأمر ، ومنحه الثقه بالنفس ، ثم اتباع إرشادات الطبيب الأخرى والتى تخص نوعية الطعام والشراب المقدم إليه ومواعيده ... إلخ .

وللإجابة على السؤال الثانى نقول : إن هناك أخطاء يفعلها الطفل وهذه الأخطاء مع الاعتراف بها فإن علاجها لا يتم عن طريق عقاب الطفل ، لسبب هام وهو عدم استطاعة الطفل التحكم فى مشاعره ، وعلى سبيل المثال صفة «الغيرة » كصفة قد تؤدى إلى إضرار بالغير أمر يحتاج إلى علاج ، ولكن غيرة الطفل من أخيه الأصغر أمر طبيعى ، فإذا حاول الطفل إيذاء أخيه الأصغر بدافع

نحو إيذاء الصغير لا شعورياً ، وعقابنا للطفل على غيرته يدفعه للشعور بكراهيتنا وبأننا نفضل أخاه الأصغر عليه ، ونحبه أكثر منه .

أما العلاج الصحيح فى مثل هذه الحالة ، فيكون بأن نكلم الطفل بهدوء ، ونفهمه أن أخاه الأصغر هذا ضعيف ، ويحتاج منا إلى العطف والحب لأنه لا يستطيع أن يقوم بأعبائه الشخصية ، وأن نمهد للطفل قبل مولد أخيه الأصغر تمهيداً يجعله على استعداد لاستقبال هذا المولود ، ولا يفاجأ به ، ثم لا يجعلنا هذا المولود الأصغر نلتفت إليه كلية ونسهو عن أخيه الأكبر ولا نوليه الإهتمام والرعاية التى كان يشعر بها ، لأن هذا الأمر هو الذى يدفع الطفل نحو الغيرة بدرجة أكبر ، ومن ثم يدفعه إلى إيذاء أخيه الأصغر ، والذى بمجيئه صرفت إليه الأنظار ، وهفت إليه القلوب ، واشرأبت إليه الأعناق .

ومن الأشياء التى قد يعتبرها الوالدان خطأ كذب الطفل فى سن مبكرة ، قبل سن الخامسة مثلاً ، فالطفل الثالثة أو الرابعة قد يحدثك عن أشياء غير حقيقة ويحكيها لك على أنها أمور واقعية ، وقد يقول لك إننى ذهبت اليوم إلى المكان الفلانى مثلاً ، وهو لم يخرج من المنزل .

الطفل دون الخامسة من عمره لا يعرف الكذب ، وخياله واسع فى هذه الفترة ، وقد يتخيل أشياء كثيرة ويعتبرها حقائق ، فيخبر بها من حوله ، وقد يرى حلماً فيظنه حقيقة ويحدث به كل من يقابله ... إلخ .

وبعد سن السادسة تقريباً يبدأ الطفل فى تفهم مثل هذه الأمور ، ويعرف الكذب ، ويستطيع تمييز قدر كبير جداً من الحقائق التى كان يغفل عنها ولا يدركها ، لكن هذا الأمر لا يجعلنا نكذب أمام الأبناء طالما أنهم لا يدركون هذا الأمر ... كلا ... فأنت حين تكذب أمام ابنك ، وتخبر بأشياء غير حقيقية أو مخالفة لما يراه أمامه ، أنت تعوده الكذب ، فأنت له قدوة ، فالطفل يكذب فى

سنواته الأولى المبكرة وهو معذور ، لكنه يدرك حين يكذب الكبار أنهم يكذبون وأن ما يقولونه مخالف للواقع ، فلا يقول مثلاً الوالد لابنه :

« أخبر فلاناً أنى لست موجوداً » ، ثم يقول إن الابن لن يفهم ، كلا إنه يضرب لابنه أسوأ المثل فى الكذب ، لابد أن يفهم الطفل خطأ هذا الأمر ، ونعوده على الصدق حتى إذا كبر وفهم كان صادقاً .

● التأثر بالماضى عند معالجة أخطاء الطفل :

من أكثر الأخطاء شيوعاً عند الآباء تأثرهم بماضيهم عند معالجة أخطاء أبنائهم ، ونوضح الأمر أكثر بذكر قصة السيد ع . ع . حيث نشأ هذا الرجل فى بيت يسير بنظام صارم ، وكان والده قاسياً فى معاملته له ، فكان لا يقبل النقاش ، وكانت أوامره صارمة لا يستطيع أحد مخالفتها ، وكان السيد ع . ع وهو طفل يتأذى من هذا الأمر كثيراً ، ويتمنى الخلاص من هذا الجو النفسى السيء ، وكبر شيئاً فشيئاً وصورة والده ومعاملته لم تتغير ، وتزوج السيد ع . ع وكان أمام ناظره صورة والده الصارمة والرعب الذى كان يسببه له ، فأقسم فى نفسه أن يعامل أبناءه بكل الرفق والحب حتى يعوضهم ما حُرِم منه من الحب والحنان ، فكان لا يرفض طلباً لأبنائه ، وكان يستجيب لضغوطهم كل مرة ، وكان هذا التدلل للأولاد بمثابة مفسدة لأخلاقهم ، وتعود الأبناء على تنفيذ طلباتهم مهما كانت هذه الطلبات ، وهذا أمر خطير ، لأنه ينبأ بمستقبل خطير لهؤلاء الأبناء ، فقد نشأوا على التواكل والاعتماد على الغير ، وسوف ينهار مثل هؤلاء الأبناء عند أول مشكلة تقابلهم تستعصى على الحل ، ولا يتحقق منها ما يريدون ، ومن المعلوم أن التدليل الزائد للطفل خطر كبير على مستقبله ، وعلى أخلاقه ، ولابد أن يعرف الطفل أن كل ما يتمناه فليس من الضرورى يحصل عليه ، إن عليه أن يعلم أنه يمكنه الحصول على أشياء ولا يمكنه الحصول على أشياء أخرى ، فلا تحدث له احباطات فى الحياة فيما بعد

إذا لم يحصل على شيء ما ، وإنه على أي من الوالدين أن يتخلى عن ماضيه عند معالجة أخطاء أبناءه ، فلا يؤثر هذا الماضي على طريقة معاملته لأبناءه إلا أن يكون تأثيراً إيجابياً ، وبتعبير أكثر دقة أن يتخلى عن العقد النفسية والتي قد تكون مترسبة في النفس نتيجة لما حدث له وهو صغير ، إن التأثير بعُقَد الماضي قد يجعل الوالد لا يشعر بقيمة الخطأ الذي وقع فيه الابن ، ومن ثَمَّ لَا يعالجه العلاج المناسب ، أو قد يجعله يبالغ في تقدير قيمة هذا الخطأ ، ومن ثم التشديد في العقوبة بما لا يسترعيه الموقف ، وبما يعود بالأثر السلبي على الأبناء ، إن معالجة الخطأ تحتاج إلى العدل والإنصاف ، وهذا العدل يتطلب التخلي عن الهوى ، والهوى قد ينتج عند أحد الوالدين من التأثر بعُقد الماضي، والعدل في معالجة الخطأ يستدعي أيضاً العلاج المناسب ، ومعنى المناسب أي العقاب على قدر الخطأ ، ليس أقل فيستهين الطفل بالعقاب، وليس أكثر فيشعر الطفل بالظلم ، وقد قال ﷺ : « **واتقوا الله واعدلوا في أولادكم** » [(١)] .

● مقارنة الطفل بغيره :

قد يلجأ الوالدان أحياناً إلى مقارنة الطفل بغيره في السلوك ، وذلك بغية تصحيح أخطاء هذا الطفل ، على سبيل المثال قد تقول الأم لابنها أحمد : «يا أحمد إن أخاك عمر أفضل منك وهو يقوم بمذاكرة دروسه أولاً بأول ، وهو أفضل منك لهذا ، لماذا لا تكون مثله ؟!! » .

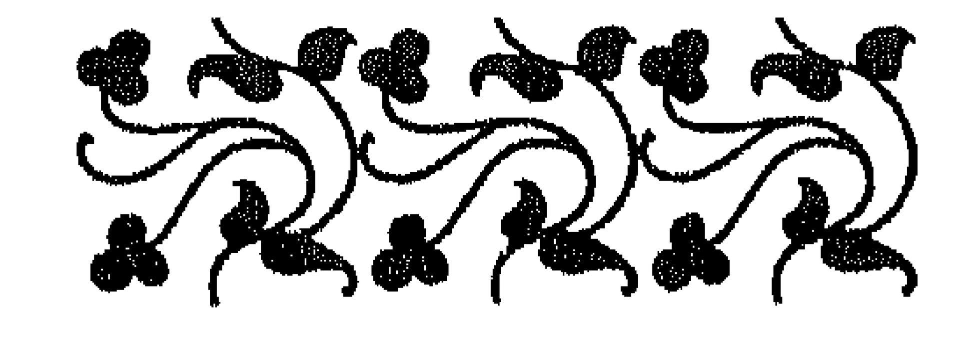
وهذه طريقة غير صحيحة في العلاج ، وهي تجعل الطفل يغار من أخيه الذي يعتبره الوالدان أفضل منه ، وتترك لدى هذا الطفل انطباعاً بأن الوالدين يحبان أخاه أكثر منه ، ويفضلان عليه ، ثم يقوم بتفسير كل سلوك نحو هذا

---

(١) رواه البخاري ومسلم عند النعمان بن البشير (١٠٧) صحيح الجامع .

الأخ بأنه تفضيل عليه ، وتترسخ لديه فكرة حب الوالدين لأخيه ، وتفضيل
له عليه ، فيكره أخاه هذا وربما دبّر له المكايد .

والصواب إذا أردنا تشجيع الطفل على المذاكرة أو معالجة خطأ ما وقع
الطفل ألاَّ نقارنه بغيره في السلوك ، بل نقوم بمقارنة الطفل بنفسه في أو
مختلفة ، فمثلاً نقول له : « يا أحمد لقد كنت بالأمس أفضل منك الي
لقد كنت كذا وكذا ، ونريد منك أن تكون هكذا دائماً ودع عنك الك
والإهمال ... » وهكذا نبث فيه الثقة بالنفس ، ونبين له أنه على درجة ج
لكنه يتكاسل ولولا هذا التكاسل لأصبح على ما يرام ، ونشجعه على الع
لأوقاته الحسنة .



ازدواج المعايير واختلاف الأب والأم في طريقة العقاب

قد يقوم الأب أو الأم بعقاب الطفل على أمر ما ، ثم يقومان بغض الطرف عنه عند فعل نفس الشيء أو ما يشابهه في مرة أخرى ، أو يعاقبان الابن على أمر ما خطأ ثم يعمل نفس العمل أو نفس الخطأ أخوه فلا يعاقب بمثل هذا العقاب أو لا يعاقب نهائياً .

إن هذا الأمور تجعل الطفل يقع في الحيرة ، لماذا لم يعاقب على نفس الخطأ في المرة الثانية ، ولماذا عوقب في المرة الأولى ؟! .

هل هذا خطأ فعلاً أم لا ؟! الطفل يقع في حيرة مع نفسه وقد لا يجرأ على سؤال الوالدين عن السبب ، فتمتد حيرته حتى الكبر ، ويشعر بالظلم إن عوقبت على خطأ معين ، ولم يُعَاقب أخوه على نفس الخطأ حين يقترفه .

إن ازدواجية المعايير والقيم أمر خطير ، ويبعث في النفس الحيرة والقلق والاضطراب ، كذلك قد يختلف الوالدان أمام أولادهما حول معايير الصواب والخطأ فيقوم الأب مثلاً بعقاب الطفل على أمر معين وتعترض الأم على هذا العقاب لعدم اقتناعها بأن ذلك الأمر خطأ ، هذا الأمر يوقع الأبناء في حيرة وقلق وقد يفقدهم الثقة في الوالدين ، لذلك وجب على الوالدين أن يتفقا على معايير ثابتة للصواب والخطأ ، وأن لا يختلفا في هذا الأمر أمام الأبناء .

• معاقبة الطفل بمنع المصروف :

قد يلجأ الوالدان لمنع المصروف عن الطفل كنوع من أنواع العقاب ليرتدع عما لا يعجبهما ، أو عما يفعل من أخطاء ، ومنع المصروف عن الطفل عقاب جائر وغير سليم ، لأن منع المصروف عن الطفل قد يلجؤه لسلوكيات شاذة أو

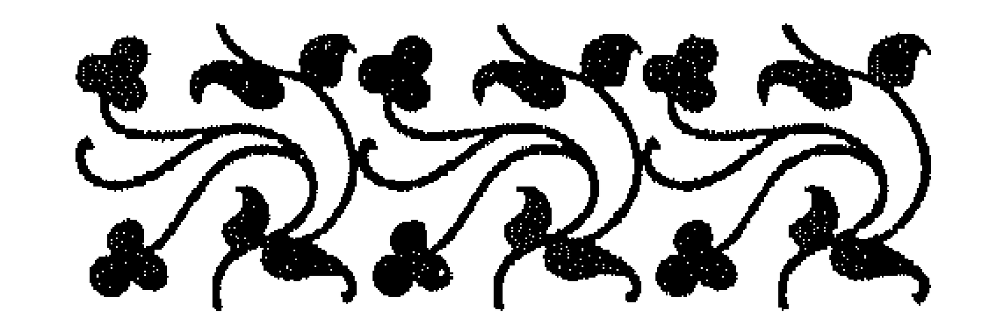
منحرفة ، كالسرقة مثلاً ، لأن إعطاء مصروف ومصروف مناسب أمر فى غاية الأهمية بالنسبة للطفل ، فالطفل يعيش وسط مجتمع مثله من الأطفال ، وهؤلاء الأطفال جميعهم لديهم المصروف المناسب وأما أن يفتقد المصروف كلية يشعر بالحرمان فى وسط هؤلاء الأطفال ، ويترك ذلك فى نفسه أثراً سيئاً ، وقد وجد أن حالات كثيرة من حالات سرقة الأطفال كان الدافع من وراءها افتقاد الطفل للمصروف أو للمصروف المناسب ، مما كان يدفع الطفل إلى السرقة ليبين لأقرانه أنه مثلهم يستطيع شراء ما يشترون مثله ، ونقول المصروف المناسب لأن الطفل الذى يعيش وسط محيط معين لابد أن يكون مثله ، فمثلاً إذا كان هناك طفلٌ فقيرٌ ينتسب لمدرسة معظم أولادها أو كلهم من ميسورى الحال ، فإن هذا الطفل سيشعر بالخجل وسط هؤلاء الأطفال للفارق فى المستوى المادى بينه وبينهم ، فينبغى على الطفل أن يوضع فى المحيط المقارب له وأن يعطى المصروف المناسب لا القليل ولا الكثير عن الحد المطلوب .

● عقاب الطفل دون إبداء الأسباب :

قد يقوم الأب أو الأم بمعاقبة الابن على أمر معين ، ثم لا يقومان بتوضيح الخطأ له ، فيقع الطفل فى حيرة ، ولا يفهم سبب العقاب ، ولا يكفى أن نقول للطفل أن هذا خطأ ، ولكن علينا أن نبين له على قدر فهمه لماذا هذا الفعل الذى فعله خطأ ، ونبين له العواقب المترتبة على فعله ، وإن عليه أن لا يعود لمثل هذا الفعل ليتجنب تلك العواقب السيئة .

بهذا سوف يمتنع الطفل عن اقتناع ، ولا يظن الوالدان أن الطفل لن يعود لمثل هذا الخطأ مرة ثانية ، كلا قد يعود الطفل أكثر من مرة لمثل هذا الخطأ برغم علمه بأنه خطأ ، لكنه فى هذه الحالة يحاول أن يمنع نفسه من هذا الخطأ ، ذلك لأن الطفل لديه رغبات وهذه الرغبات قوية تدفعه لفعل أشياء كثيرة ، كالتكسير ، والتحطيم ، وضرب إخوته الصغار ، والعبث فى الأشياء

الخاصة بالغير ... إلخ ... وهو مدفوع فى ذلك كله بحب الاستطلاع ، واستكشاف ما حوله ، وهذا أمر طبيعى فى كل الأطفال ، وهذه الرغبة فى الاستشكاف نقل وتهذيب بمروز الوقت ، ويستطيع الطفل التحكم فى هذه الرغبات خصوصاً ما يختص منها بالتخريب والعبث بأدوات الغير ، والاقتراب من الأشياء الخطيرة ، ويساعد فى هذا كثيراً فهم الطفل خطورة هذه الأشياء من قبل الكبار وخاصة الوالدين .





أخطاؤنا في علاج أخطاء الزوجات

● افتراض المثالية فى الزوجة :

من الأخطاء التى يقع فيها كثير من الأزواج عند معالجة أخطاء زوجاتهم أنهم يفترضون المثالية فى الزوجة ، فالزوج يريد من زوجته أن تقوم بواجبها كما ينبغى ، وأن لا تقصر فى خدمته لأى سبب من الأسباب ، وأن تقوم برعاية الأولاد حق الرعاية ، وتقوم بأعمال المنزل كاملة ، وأن تراعى فى ذلك كله ، أن تبدو فى أحسن صورة دائماً ، وأن لا تتأخر فى مواعيد الطعام ونحوه... إلخ .

ولا شك أن القيام بتلك الأمور مطلوب من الزوجة ، لكن افتراض أن تفعل الزوجة كل هذه الأمور بالدقة المطلوبة ، ومستوى الأداء المرتفع ، وأن لا تقصر فى شيء ، هذا الافتراض هو من الأمور المثالية ، والتى لا يمكن أن تكون .

فلابد أن يعترى المرأة ضعف أو إرهاق أو تقصير فى أى ناحية من النواحى المشار إليها آنفاً ، وليس معنى هذا أنها تستحق اللوم ، إلا إذا تكررت الأخطاء ، وأصبح الإهمال طابعاً مميزاً لسلوكياتها .

أما أن ينفعل الزوج نتيجة لأى خطأ من الزوجة ، ويلومها أو يوبخها أو يعاقبها بأساليب أخرى ، فهذا ليس من الإنصاف ، لابد أن ندرك حقيقة تربوية هامة ، وهى أن وجود إنسان بلا عيوب أمر مستحيل ، سواء كانت هذه العيوب سلوكية أو عيوباً فى الطباع والشخصية ، وكفى بالمرء نبلاً أن تُعد معايبه .

والتقصير أمر وارد من كل إنسان ، وطالما أنه عارض وليس متكرراً ، وطالما أن الإنسان يجاهد قدر طاقته فى تحصيل المطلوب فإنه ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

يقول : دايل كارنجى فى « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » :

«اقبل شريكك فى الحياة على علاته » .

وهو يعنى أنك لن تتزوج ملكاً ، لكن ستتزوج امرأة بشراً ، لها طبيعتها البشرية ، وهى أنها تخطئ وتصيب ، وقد يكون لديها طباع معينة لا تعجبك ، أو نوع من التقصير مستمر معها ، ولا تستطيع التخلص منه ،فماذا نفعل ؟ .

لابد أن تعود نفسك على هذا الأمر خصوصاً إذا كان هذا الأمر أمراً ثانوياً ، فليغفر لها حبها لك ، واهتمامها بك ، ومحاولتها القيام بواجبها حق القيام ، ليغفر لها ذلك ما يعتريها من تقصير ، فطالما المجموع مرتفع والحصيلة جيدة ، فلا تظل تطلب المثالية بإلحاح لأنك لن تجدها لا فى الطباع ولا فى مستوى الخدمة والأداء بصفة دائمة ، وحين نفهم هذا نفهم حديث رسول الله ﷺ :« **لا يفرك [(١)] مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً ، رضى منها خلقاً آخر** » [(٢)] .

● افتراض التغير السريع لأخطاء الزوجة :

إن الزوج يتعب نفسه كثيراً عندما يريد تغيير طباع الزوجة أو أخطاءها بسرعة ، ولا يراعى عامل الزمن فى علاج الخطأ .

إن أغلب الأخطاء تأتى من عادة تعودها الإنسان فى سابق حياته ، أو طبعاً تطبع به ، وكلاهما أمر يحتاج علاجه إلى وقت طويل ، وليس وقتاً وفقط ، وإنما يحتاج أيضاً إلى مجاهدة للنفس ، وصبر ومعرفة بطرق التربية وتغيير النفوس .

والحياة الزوجية بلا شك بالنسبة للشاب أو الفتاة حياة جديدة ومختلفة عن حياته السابقة ، ومن ثم فإنها تختلف سواء فى متطلباتها أو فى طبيعتها

---

(١) يفرك : يعنى يبغض .
(٢) رواه مسلم (٣٦٣) .

الحياتية ، وعلى سبيل المثال المرأة التى تعودت فى بيتها أن تلبى لها الطلبات ، وأن يقوم غيرها بخدمتها ، قد لا تستطيع القيام بخدمة زوجها بالصورة المطلوبة ، أو تتململ من طلباته المتزايدة ، وهى تحتاج إلى وقت كاف كى تتعود على الحياة الجديدة ، أو قد تكون المرأة قد تعودت فى بيت أبيها على مستوى معين من المعيشة ، فإذا تزوجت من هو أدنى من هذا المستوى بكثير نشأت المشاكل وكثر تقصيرها وإهمالها لعدم تعودها على مثل تلك الظروف ، لذلك نقول : أن الكفاءة فى الزواج مطلوبة درءً لمثل هذه المشكلات ، والتى تنشأ من الفروق فى المستوى المعيشى « الاقتصادى » بين الحياتين ، حياة الفتاة فى بيت أبيها ، وحياتها فى بيت زوجها ، ولكن وقد أصبح الأمر واقعاً فإن على الزوج أن يراعى مثل هذا الأمر ، ويضع عامل الزمن فى الحسبان ، ولا يطالب زوجته بالتعود على الحياة الجديدة سريعاً سريعاً ، وإلا فإنه سيضطرها لأن تهاجمه بالقول بأنها لم تتعود على مثل هذه الظروف ، وإن عليه أن يوفر لها مستوى معيشى مثل ذلك الذى تعودت عليه من قبل ، ومن هنا ندرك أهمية حديث رسول الله ﷺ : « **تخيروا لنطفكم ، فانكحو الأكفاء ، وأنكحوا إليهم** » [(١)] .

وإن كانت الكفاءة فى الدين هى الأصل ، إلا أن هذا يشمل أيضاً الكفاءة فى المستوى المادى والأدبى بجميع فروعه ، ثم على الزوج بعد كل هذا أن يعلم أن هناك أخطاء أو طباعاً أو عادات معينة فى زوجته لن تتغير ، وربما كان هذا مقصود القول الذى نقلناه آنفاً عن قبول شريك الحياة على علاته ، يقول لورانس جولد فى « استمتع بالحياة » [(٢)] .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٦٨) والحاكم (٢٦٨٧) والبيهقى فى الكبرى (١٤٠٦٠) وغيرهم .
(٢) « استمتع بالحياة » لورانس جولد .

« وأفضل ما يشبه به الزواج هو « محل البقالة » الذى تجد فيه أصنافاً من الأغذية « جاهزة » ولا تجد فيه أصنافاً تعد لك « حسب الطلب » فالمجال حينئذ أمامك هو اختيار أنسب الأنصاف وأقربها إلي طلبك ، ولو أنك أخذت الزواج هذا المأخذ لوجدته أبهج وأمتع » (١) .

وهذا طبعاً لا يمنع من محاولة تغيير الصفات السيئة عند الزوجة ، خصوصاً إذا كانت أخطاء شرعية ، فهذا واجب على الزوج ، لكن ينبغى عليه الصبر عليها ، أما الطباع والخصائص المتأصلة فى النفوس ، ولا تخص النواحى الشرعية ، فهى أمور قابلة للأخذ والرد ، ويمكن التغاضى عن بعضها والتعامل معها كأمر واقع ، وفى كل الحالات ينبغى أن ندرك أمراً هاماً وهو أن الزمن جزء من العلاج .

● نسيان طبيعة المرأة عند معالجة أخطاء الزوجة :

بعض الناس يفترض فى زوجته أن تقف عند كلمتها ولا تتراجع ، وأن تثبت عند المواقف الصعبة ولا تتزلزل ، وأن تفكر بعقلها فى الأمور كلها ولا تغلب جانب العاطفة ، وأن لا تتسرع فى الغضب أو الإستثارة ، وأن تكثر الصمت وتقلل الثرثرة ... إلخ ، إنه يفترض أشياء من الصعوبة أن توجد فى المرأة ، إنها ليست رجلاً ، لابد أن يدرك الزوج أن زوجته امرأة لها صفات النساء ، وطبائعهن ، وأنها تنشأت تنشئة أسرية واجتماعية مختلفة عن أخيها مثلاً ، فهى من الممكن أن تتراجع عن كلامها ، وهى تنهار بسرعة أمام المواقف الصعبة وتبكى ، وكثيراً ما يحدث أن تغلب عاطفتها على عقلها ، وأنها تحب الكلام ، والثرثرة خاصة فى « الهاتف » ، وأنها تنسى كثيراً ، وقد تهتم هى بأشياء أنت

---

(١) « استمتع بالحياة » لورانس جولد .

قد تعتبرها تافهة ، لكنها بالنسبة لها أمر مهم ، هى امرأة ولها طبيعتها واهتمامها ، ولابد أن يدرك الزوج هذا الأمر ، ولا يحاول أن يناطح تلك الطبيعة أو يقسو عليها ، إن هذه الأمور هى ما تجعل المرأة ، مختلفة عن الرجل ، وهى ما تجعلها جذابة بالنسبة له ، وهى ما تناسب رسالة المرأة فى الحياة ، التى تختلف عن رسالة الرجل .

فالرجل لديه عزم فى الأمور وشدة لأن رسالته فى الحياة وقيامه بالأعباء الخارجية وظروفها القاسية تحتاج هذا الأمر ، والمرأة لديها عاطفة جياشة ورقة ونعومة ونحوها ، لتناسب رسالتها الأصلية ، كزوجة وأم ، كما أن المرأة لها ظروفها التى تتسبب فى النسيان أحياناً ، وعدم مخالطة المجتمع بطريقة مثل طريقة الرجل ، مما يجعلها لا تستطيع القيام بالأعمال التى يقوم بها الرجال بصفة عامة ، وإن كانت تستطيع القيام ببعضها .

والخلاصة :

أن المرأة أساساً تختلف كثيراً فى طبيعتها وطريقة تعاملها مع الأشياء عن الرجل ، وعلى الرجل أن يدرك هذا الأمر ، فلا يفترض أن يتعامل مع طباع مثله ، إنما ليفترض أن ثمة اختلافاً فى الطباع ولابد ، وحين نفهم هذا نفهم قول رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلقت من ضلع ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** » [1] .

● ربط أخطاء الزوجة بعلاقتها بأهلها :

يعمل بعض الأزواج على ربط أخطاء زوجته دائماً بعلاقتها بأهلها ، فإذا

(١) رواه البخارى (٣١٣) ، ومسلم (٣٦٣١) وغيرهما .

أخطأت فى شيء ما ، فهى متعمدة هـذا الخطأ ، وأن أهلها هم السبب فى ذلك ، هذا التفكير ، وهذه الطريقة فى التعامل مع أخطاء الزوجة تتسبب فى عدم حل أى مشكلة ، وتساعد على تفاقم المشكلات ، فإذا كانت علاقة الزوج بأهل زوجته غير طيبة مما يدفعه لهذا الكلام ، فلابد من إصلاحها ، وليعلم الزوج أن الله تعالى حين شرع الزواج أراد سبحانه وتعالى بهذه السُّنَّة أن تتصاهر العلائلات وتعم المودة والرحمة بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) ﴾[الفرقان : ٥٤] .

أما أن تسوء العلاقات بين الأصهار فهذا ليس بهدى الإسلام ، ثم على الزوج أن يحسن الظن بزوجته ، ولا يفسِّر أى عمل ، أو أى خطأ منها على أنه خطأ متعمد ، أو أن أهلها يأمرونها بذلك ، وبعض الأزواج يفعل هذا ليتخذه حجة وذريعة ليمنع زوجته من زيارة والديها ، وفى هذا قطع للأرحام ، وهو قطع لما أمر الله به أن يوصل ، ويستحق العقاب الدنيوى والأخروى ، حتى وإن كان الوالدان على غير الطاعة لله رب العالمين ، وهل هناك أشد من الإشراك بالله ؟! إنه ليس بعد الكفر ذنب ، ومع ذلك فقد أمر الله تعالى من كان أبواه مشركين أو يحثانه على الشرك أن يصاحبهما في الدنيا معروفاً من غير طاعة لما يأمرانه به ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾[لقمان : ١٥] .

إن على الزوج أولاً أن يكون منصفاً ، وأن لا يتهم أصهاره بما لم يقم عليه دليل ، فقد يكون مخطئاً ، وكثير من المشكلات التى كانت تحدث بين الزوج وزجته لمثل هذا الأمر وجد أن الزوج كان مخطئاً فى استنتاجاته ، وكان يسيء الظن ، ويتبع الشهبات .

إن على الزوج أن يقيم علاقة طيبة مع أصهاره ، ولا يمنع زوجته من برهم ، فمهما يكن من أمر فإن لوالديها حقاً كبيراً عليها ، ومقاطعتهم لا تجوز لأى سبب من الأسباب ، يمكن تحديد العلاقة بطريقة ضيقة إن خِيفَ على الزوجة من أهلها إن كانوا أهل سوء ، أو عليهم شبهات سيئة السمعة ، لكن لا تقاطعهم ، وإنما تصاحبهم بالمعروف وتدعو الله لهم ، وتدعوهم إلى الإلتزام بتعاليم الإسلام وسلوكياته ، أما وإن كانوا على خير وهناك سوء تفاهم بينهم وبين الزوج فيجب إزالة هذا التفاهم السيء ، وإحلال حسن النوايا محله ، وبرهم ، وزيارتهم والإحسان إليهم .

● عدم اختيار الوقت المناسب لعتاب الزوجة :

كما يقال : « لكل مقام مقال » وقد يحاول الإنسان إصلاح شيء ما ويتخذ لذلك الوسيلة المناسبة ، ومع ذلك يفشل فى هذا العلاج ، أو يكون مخطئاً ، لسبب آخر ألا وهو عدم اختيار الوقت المناسب للعلاج ، فاختيار الوقت المناسب لإصلاح الخطأ مهم جداً ، لأننا نتعامل مع نفس بشرية تفرح وتحزن ، وتتأثر بما حولها من أحداث ، ومما يقع فيه بعض الأزواج أنه يأتى ليعاتب زوجته فى وقت غير مناسب للعتاب ، كأن يعاتبها مثلاً وهى مرهقة من كثرة أعباء البيت وهى فى قمة انهماكها فى العمل فتشعر عندئذ بالإحباط ، فهى تعمل وتؤدى ما عليها ، ومع ذلك تنال ما يحط من أعمالها من كلمات عتاب أو تذكير لها بأنها قصرت فى أعمال أخرى ، وقد يدفعها هذا إلى الإحباط وعدم اتقان أى عمل لأنها سوف تظن أنها مهما فعلت فلن يرضى عنها زوجها ، لكن ما المانع أن يمدح الزوج فعلها ويقول لها : إنك تتعبين وتبذلين جهداً مشكوراً ، ثم بعد أن تجلس وترتاح يذكرها بما نسيته من أمور ، ولا يطلب منها فعلها فى الحال ، ولكن يقول لها ذلك على سبيل التذكرة فقط ، فسوف تستجيب إن شاء الله ، لأنها ستشعر بحسن تقدير زوجها لما تفعله

وتؤديه ، لأنه أكثر ما يسبب للزوجة التعب أن تشعر أنها تعمل كل شيء ثم هي غير مشكورة ، وتنهال عليها انتقادات زوجها ... أيضاً حين يختار الزوج وقت الخلوة بينه وبين زوجته وبعد أن يستمتع بها يجلس ليعاتبها فى بعض الأمور التى قصرت فيها ، حين يفعل هذا الأمر يكون قد أخطأ خطأ كبيراً فى طريقة معالجة أخطاء زوجته ، لأن هذا ليس وقتاً لذلك ، لحظات السعادة دعها تفوت وتمر كما هى بدون أن تتكدر وتتغير فيها النفوس ، فلحظات السعادة فى الدنيا قليلة ومعدودة ، وليس من الفطنة أن نحولها إلى الوجه الآخر ، وليس معنى هذا أن يعاتب زوجته أمام أحد الأولاد أو أمام الغير ، ولكن العتاب يكون على انفراد وفى وقت غير وقت اللقاء الذى بينهما .

إن الوقت المناسب للعتاب بين الزوجين أو لعتاب الزوج زوجته ، يختلف من امرأة لأخرى، ويخضع فى النهاية لطبيعة تلك الزوجة لمزاجها ، ولحالتها النفسية ، ويستطيع كل زوج من خبرته مع زوجته أن يعرف الوقت المناسب لمثل هذا الأمر من غيره ، وعليه ألا يعتمد أن يعالج أخطاء زوجته فى وقت غير مناسب ، لأن ذلك لن يعود على الأسرة بالخير ، وقد يؤدى إلى تفاقم المشكلات لا إلى حلها ...

● النقد اللاذع :

إن السعادة الزوجية تتحطم على صخرة النقد اللاذع للزوجة ، والنقد المستمر ، إن هناك من الأزواج من يعلق على كل خطأ تفعله الزوجة فينتقدها باستمرار ، وبهذا يحول حياتها إلى سلسلة لا تنتهى من الأخطاء ، وفى نفس الوقت يسوى بين الأخطاء الجليلة والتافهة ، وهذا خطأ كبير من الزوج ، لأن النقد اللاذع والمستمر لأى خطأ ، يجعل الواقع فى الخطأ لا يشعر بخطورة ما وقع فيه ، ذلك لأنه ينتقد عند كل صغيرة وكبيرة نقداً لاذعاً ، كما تجعله لا أمل لديه فى إصلاح نفسه .

ثم إن النقد اللاذع يشعر الشخص المخطئ بالذلة والمهانة ، وهذا أمر غير مطلوب عند معالجة الخطأ ، وعلى الزوج ألا يُشعر زوجته مطلقاً بهذا الأمر ، إن المرأة تصبح لديها حساسية مفرطة تجاه زوجها الذى من هذا النوع بالذات ، ذلك لأن المرأة بصفة عامة تتأذى من النقد ، وتحب أن تبدو فى أعين غيرها جميلة الصفات ، فإذا وجدت من ينتقدها نقداً لاذعاً تكرهه ، وتنفر منه ، إنها تحتاج إلى معاملة رقيقة ، تحتاج إلى الحب والعطف ، فلماذا لا تعالج أخطاء زوجتك بالحب بدلاً من النقد اللاذع ؟!! ، لماذا لا تكن رفيقاً بأهلك ؟!! ، إن الرجل الرفيق بأهله يحبه الله تعالى ، وفى الحديث الشريف :« **إن الله يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على سواه** » [(١)] .

وعن رسول الله ﷺ أيضاً قوله :« **إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق** » [(٢)] .

ويؤكد الخبراء على أهمية الرفق مع الزوجة ، وأن لا يكثر الزوج النقد لزوجته ، وعلى أن النقد اللاذع سبب مباشر لحالات كثيرة من الطلاق ، وينقل دايل كارينجى فى « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » عن الكاتبة « دورثى ديكس » قولها : « ويعلّق على قولها فيقول : « وهى تعنى النقد العقيم الذى يكسر القلب ، ويذل النفس ، فعليك أيها القارئ أن لا تنتقد نقداً عقيماً يكسر القلب ويذل النفس » [(٣)] .

وإن كان لابد من النقد فلنجعله خفيفاً على النفس ، ولتذكر قول أحد

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤٤) .
(٢) رواه أحمد (٢٣٩٠٦) والبيهقى فى الشعب (٦٥٦٠) .
(٣) « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » دايل كارنيجى .

الصالحين : « الحق مر ، فاستعينوا عليه بحلو الكلام » ، فإن كان النقد لشيءٍ حقٍ ، فهو لاشك مر ، ويحتاج لحلو الكلام وطيبه حتى تقبله النفوس ولا تستثقله ، وهو ليس مراً لذاته ، وإنما لتسلط الشيطان على النفوس ومحاولته ثنيها عن اتباع الحق .

● إهمال عامل العرف عند معالجة أخطاء الزوجة :

إن ما يمكن اعتباره خطأ فى العلاقة الزوجية وخصوصاً فى أمر خدمة الزوجة زوجها ، هذا الأمر قد يختلف من شخص لآخر حسب اعتبار الأعراف والعادات ، ولتوضيح الأمر أكثر نقول إن خدمة المرأة زوجها أمر يختلف من امرأة لأخرى حسب طبيعة وحدود وكيفية هذه الخدمة ، فقديماً مثلاً كانت المرأة تعجن وتخبز وتدير الرحى ، وترعى الغنم ، ونحو ذلك وربما لا يزال هذا الأمر كائناً فى بعض المجتمعات البدوية أو الريفية إلى الآن ، لكن المرأة التى تعيش فى المدينة لا علاقة لها بمثل هذه الأمور ، وقد تكون لم تسمع عنها من قبل ، وهكذا فى بقية أمور الخدمة فهى تتبع العرف والعادات وهى تختلف من مجتمع لآخر ومن قبيلة لأخرى ومن عائلة لعائلة ثانية ، ولذلك عندما تحدث علماء المسلمين عن موضوع خدمة الزوجة زوجها اعتبروا عامل العرف ووضعوه كمقياس لتحديد مستوى هذه الخدمة .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين تحدث عن خدمة المرأة زوجها فى الفتاوى فقال : « تنازع العلماء هل عليها أن تخدمه فى مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب ، والخبز والطحن لمماليكه ، وبهائمه ، مثل علف دابته ونحو ذلك ، ثم من هؤلاء من قال : تجب الخدمة اليسيرة ، أو منهم من قال : « تجب الخدمة بالمعروف ، وهذا هو الصواب ، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله ، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية ، وخدمة القروية ليست كخدمة الضعيفة » .

فاعتبار عامل العرف أمر هام وضرورى فى تحديد معنى الخطأ ، أو درجته ، وعلى الزوج أن يكون على دراية ومن البداية وقبل الزواج بمثل هذا الأمر ، وليكن على دراية بكيفية وطريقة عيش زوجته وسط أهلها ومجتمعها وعاداتهم وأعرافهم ونحو ذلك ، حتى لا يتزوج ويكون قد رسم فى مخيلته صورة خيالية للزوجة ، وقد تكون هذه الصورة مختلفة تماماً عن الصورة الحقيقية الموجودة فى المجتمع القادمة منه الزوجة ، وهذا الأمر يكون أكثر وأشد وضوحاً عندما يتزوج الرجل من مجتمع آخر مختلف عنه فى العادات والتقاليد والأعراف ، وكذلك عندما يكون الزواج غير متكافئ فيتزوج الرجل بامرأة غير كفئ له أو العكس ، بحيث يكون الفرق بينهما كبيراً من حيث طريقة العيش ، أو المستوى الثقافى ، ونحو ذلك ، ولذلك فإن اعتبار عنصر الكفاءة أمر هام عند القدوم على الزواج ، وقد تحدثنا عن هذا الأمر أكثر من مرة عند الحديث عن اختيار شريك الحياة - لأهميته [(١)] - وذكرنا حديث رسول الله ﷺ : « **تخيروا لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم** » [(٢)] .

● عدم اتباع الهدى الإسلامى فى إصلاح الزوجة :

لقد رسم الإسلام للزوج المسلم الطريق الصحيح لإصلاح نشوز زوجته ، ولتقويم اعوجاجها إن كان بها ما يحتاج إلى تقويم ، وجعل هذا الطريق منظماً على مراحل معينة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ٣٤] .

---

(١) انظر على سبيل المثال كتاب « فن التعامل مع الجنس الآخر » للمؤلف .
(٢) الحديث رواه الحاكم (٢٦٨٧) وابن ماجه (١٩٦٨) ، وابن أبى شيبة (١) ، والبيهقى فى الكبرى (١٤٠٦٠) والدارقطنى (١٩٧) بمثله وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

ثلاث مراحل : الوعظ ، ثم الهجر فى المضاجع ، ثم الضرب وهو الضرب غير المبرح كما سيأتى بيانه .

إن النشوز هو أعلى مراتب عصيان الزوجة زوجها ، فالنشوز يعنى الارتفاع ، وهو هنا يعنى ارتفاع الزوجة عن طاعة زوجها ، فلا تسمع له أمراً ولا تنفذ له ما يريد ، ومن الطبيعى أن هذا النشوز له سبب أو أسباب ، فليس من الطبيعى أن تعصى الزوجة زوجها أو لا تلتفت لأوامره إلا لأسباب معينة ، ومن هنا كانت أول مهمة وأول خطوة يجب أن يفعلها الزوج لإصلاح نشوز زوجته وما يترتب عليه من أخطاء تقع فيها أقلها عدم تنفيذ أوامر الزوج ، أول خطوة لعلاج هذا الأمر هى معرفة سبب أو أسباب هذه الأخطاء ثم وعظ الزوجة بما ينبغى وبما يجب فعله تجاه زوجها ، وتذكيرها بفضل زوجها عليها ، وأن يبين لها أخطاءها جالية أمامها وأن هذه الأخطاء لا يصح أن تصدر منها ، ويذكرها بعاقبة تلك الأفعال ، فى الدنيا والآخرة ، وهذه هى الموعظة .

قال ابن منظور فى « لسان العرب » عن العظة : « وعظ : الوعظ العظة والموعظة النصح والتذكير بالعواقب ، قال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب ... » .

والموعظة تحتاج إلى فن فى الوعظ ، وتحبيب الشخص فى فعل شيء معين ، وتنفيره من فعل آخر ، ومن هنا كان الواجب على الزوج أن يبدأ أولاً بهذا الموضوع وهو العظة فى إصلاح زوجته ، فالعظة تلين القلب وتنسيه الغضب ولابد أن تكون العظة بكلام طيب وبأسلوب جذاب حتى تكون أدعى لتليين القلوب ، وعدم تنفيرها ، فإذا جُرب الوعظ ولم يجدِ ، وكانت الزوجة متصلبة ، فيلجأ الزوج لأسلوب آخر قد يجدى مع الزوجة الناشز ألا وهو الهجر فى المضجع ، والهجر فى المضجع بالذات وعدم الهجر مطلقاً حتى يكون أدعى للتصالح ورجوع الزوجة عما تقترفه ، فقد يكون الهجر أبلغ من الكلام فى

بعض الحالات ، فإن لم يُجدِ الهجر فهناك نوع من النساء لا ينفع معهن غير الضرب ، ولكن هذا الضرب يكون آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج كما يقال : « آخر الدواء الكي » ، كما أن الضرب له شروط ، من هذه الشروط : ألاَّ يكون ضرباً مبرحاً ، يعنى مؤثراً على البدن ، كمن يضرب زوجته بالعصا فيؤثر فى جسدها ، أو من يضربها بيده فيدمى وجهها ، ونحو ذلك ، فهذا الأسلوب وهذا الضرب لا يصح أن يتعامل به الرجل مع زوجته ، فهى ليست حيواناً ولا عبداً عند الزوج ، وهذ الضرب لا يجوز ، وهو أمر ترفضه الشريعة الإسلامية ، يقول رسول الله ﷺ : « **لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها من آخر اليوم** » [1] .

والحديث ينهى عن ضرب المرأة ضرباً مبرحاً ، ويتعجب من أن يجلد الرجل امرأته كما يجلد العبد ثم إذا به يجامعها من آخر اليوم ، وفى هذا تناقض عجيب ، يعنى يهينها أول النهار ثم إذا به يرجو محبتها وودها آخر الليل ، هذا أمر لا يصح أن يتصف به عاقل ، ولذلك فسرّ العلماء قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ بقولهم : « أى ضرباً غير مبرح » [2] .

وجاء فى صحيح مسلم قوله ﷺ : « **اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح** » [3] .

ليس هذا فحسب بل قال عليه الصلاة والسلام عمن يضربون زوجاتهم : « **ليس أولئك بخياركم** » [4] .

---

(١) رواه البخارى (٤٩٠٨) .
(٢) فتح البارى (١٩٩٧/٥) .
(٣) صحيح مسلم .
(٤) رواه أبو داود (٢١٤٦) والنسائى (٩١٦٧) وابن ماجه (١٩٨٥) .

قال القرطبى : « أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولاً ، ثم الهجران ، فإن لم ينجعا فالضرب فإنه هو الذى يصلحها له ويحملها على توفية حقه والضرب فى هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظماً ولا يشق جارحة ونحوها ، فإن المقصود منه الصلاح لا غير ، وكذا ضرب المؤدب غلامه لتعليم القرآن » (١) .

قال عطاء سألت ابن عباس : « ما الضرب غير المبرح ؟! ، قال : بالسواك ونحوه » (٢) .

وقد فهم بعض الأزواج هذا الضرب فهماً خاطئاً فأصبح له منهجاً فى التعامل مع زوجته الضعيفة ، وهذا والله من قلة إيمان هؤلاء وقلة تقواهم لله عز وجل ، فالضرب بالشروط المذكورة آنفاً آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج إنْ اعتقد صلاحيتها وجدواها فى العلاج ، أما أن يتخذها وسيلة لفرض سيطرته على الزوجة وإذلالها فهذا ليس بخلق مسلم ، فليتذكر الزوج حين يظن أنه قادر على زوجته ليتذكر قدرة الله عليه ، وقد يتحجج البعض بحديث : « **لا يسأل الرجل فيم ضرب زوجته** » وهو حديث ضعيف ، قد يتحجج به فى ضرب زوجته من غير خشية لله تعالى ، والحديث إن صح لكان الغرض منه المراقبة لله تعالى ، وعدم ضرب الزوجة ضرباً مبرحاً لأنه لا يطلع أحد على الزوج أو على ما بينه وبين زوجته ، لذلك ذكر الإمام النووى هذا الحديث فى « رياض الصالحين » فى باب « المراقبة » ، أما أن يتخذ ذريعة لضرب الزوجة بغير اتباع التدرج فى الإصلاح أو ضربها ضرباً مبرحاً فهذا لا يجوز ، فما بالك والحديث ضعيف أصلاً ، إذ كيف لا يسأل المرء عن ضرب زوجته أياً كان هذا الضرب ؟! ،

---

(١) تفسير القرطبى (١٧٢/٥) .
(٢) المصدر السابق (١٧٣/٥) .

فالحديث قال عنه الشيخ الغزالى – رحمه الله – « رواه أبو داود بسند ضعيف مبتور التسلسل » .

والمعروف عن النبى ﷺ أنه لم يضرب بيده امرأة قط ولا خادماً ، ولم يضرب بيده أحداً إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

والخلاصة :

أن الضرب لا يمكن أن تقوم عليه الحياة الزوجية ، فهو آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج بالشروط المذكورة آنفاً وهى :

[١] أن يكون الضرب آخر الوسائل .

[٢] أن لا يكون ضرباً مبرحاً .

[٣] أن يكون الضرب وسيلة للإصلاح ، يعنى يثبت جدواه .

[٤] أن لا يعتمد الضرب أسلوباً فى التعامل مع زوجته .

وأن يضع الزوج فى اعتبار أن خيار الأزواج لا يضربون زوجاتهم .

● عدم مراعاة عامل السن عند علاج أخطاء الزوجة :

على الزوج أن يضع فى اعتباره عدة عوامل عند علاجه لأخطاء زوجته ، من هذه العوامل عامل السن ، فالمرأة المتزوجة فى سن المراهقة بلا شك سيختلف سلوكها عنها فى سن أخرى متأخرة ، فلكل مرحلة عمرية صفاتها وخصائصها المميزة لها ، وإن كان هناك خصائص مشتركة كثيرة ، فالمرأة حديثة السن مثلاً ستجدها تحتاج كثيراً للخروج والرحلات واللعب ... إلخ لأنها لا زالت مراهقة ، وإن كانت قد تزوجت كما ستجد صفات المراهقة بلا شك ملازمة لها ، فعلى الزوج أن يراعى مثل هذه الأمور ولا يعتبرها أخطاءً فى زوجته ، إنها طبيعة السن والمرحلة العمرية ليس أكثر ، ولقد وجدنا كيف أن النبى ﷺ كان يقدر مثل هذا الأمر عند السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقد

تزوجها وكانت حينذاك حديثة السن ، فكان ﷺ يترك صويحباتها يدخلن عليهن يلعبن معها وتلعب معهن ، وكان يتركها تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بالحراب ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « **رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا الذي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو** » [1] .

وكان ﷺ يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها ، تقول رضي الله عنها : « **كنت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته ، فسبقته على رجلي ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني ، فقال : هذه بتلك السبقة** » [2] .

هذا وقد كانت عائشة رضي الله عنها وهي زوجة رسول الله ﷺ وفي حداثة سنها ، كانت تلعب في بيتها مع الجواري « البنات الصغار » وهي تحكي رضي الله عنها موقفاً من هذه المواقف فتقول : « **قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات يلعبن بهن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما هذا يا عائشة ؟! قالت عائشة : بناتي « يعني صويحباتي » ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع ، فقال : ما هذا الذي أرى في أوسطهن ؟! ، قالت : فرس ، قال : وما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان قال : فرس له جناحان ؟! ، قالت عائشة : أما سمعت أن سليمان كان له خيلٌ لها أجنحة؟! ، قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه** » [3] .

فإذا تزوج رجل بامرأة حديثة السن صغيرة فليقدر لها هذا الأمر ولا يعتبر مثل تلك الأمور من الأخطاء التي يجب معالجتها وإنما هي طبيعة مرحلة .

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٨) ومسلم (٢٠٦١) وغيرهما .
(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨) وأحمد (٢٥٧٤٥) .
(٣) رواه أبو داود (٤٩٣٢) .

أخطاء الزوجات في علاج أخطاء الأزواج

● الشكوى للناس والجيران :

من الأخطاء التى تقع فيها بعض الزوجات الشكوى للجيران أو للصديقات حول ما يحدث بينها وبين زوجها من أمور تضايقها أو من أمور تعتبرها أخطاء يقع فيها الزوج ، وقد تبالغ المرأة فى وصف بعض الأمور ، وينتقل الحديث من تلك الصديقات إلى أزواجهن ، وقد يتحدث بعض هؤلاء الأزواج إلى الزوج المخطئ ناصحاً إياه بحسن معاملة زوجته ، فيشعر هذا الزوج بافتضاح أمره بين الناس والجيران ، ويظن أن الناس تعلم كل شيء عن حياته الزوجية عن طريق زوجته ، فيتضايق الزوج أكثر وأكثر وتتفاقم المشكلات بدلاً من حلها ، ويفقد الزوج الثقة فى زوجته .

إن على الزوجة أن تدرك خصوصية العلاقة بينها وبين زوجها ، وأن أسرار الحياة الزوجية لا يجوز أن تخرج خارج البيت ، وكيف تخرج وهى أمانة فى عنق أهل البيت ، يقول رسول الله ﷺ : « **إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهى أمانة** »[1] ، يعنى إذا حدَّث الرجل أخاه بحديث ثم التفت خوفاً من أن يكون أحد يسمعه ، فإن هذا الحديث يعتبر أمانة فى عنق ذلك الرجل الذى سمع هذا الحديث ، فلا يجوز إفشاؤها لأحد ، لأن فى ذلك تضييعاً للأمانة .

هذا بالنسبة للحديث العادى بين رجل وآخر يُسرّ به إليه ، فكيف بما يحدث بين الرجل وزوجته داخل البيت ، وهو يعلم يقيناً أن أحداً لا يسمعهما

---

(١) سنن أبى داود (٤٨٦٨) .

إلا الله تعالى ، فهل لا يأمن أن ينقل هذا الكلام إلى أحد ؟! .

إنها أمانة عظيمة ، يجب أن تدركها كل امرأة وكل رجل ، تلك الأحاديث المنزلية التي لا يجب أن يطلع عليها غيرهما ، والتي تغضب أياً منهما إذا عرف أن الغير قد اطلع عليها ، إن تضيع هذه الأمانة وإفشاء تلك الأسرار أمر خطير ، وفي الحديث : « **إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة** »[1] .

والإسلام لا يريد أن تفتضح أسرار الأسرة وتُفشَى للناس جميعاً لذلك شرع الإسلام « التحكيم » بين الزوجين إن حدث بينهما خلاف ومشكلات ولم يستطيعا حلها والتغلب عليها ، وجعل من يقوم بهذا التحكيم حكمين من أهل الزوج ومن أهل الزوجة ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾[النساء : ٣٥] .

وهذا حتى لا تفشى أسرار العائلة ويعلم بها الناس ، كما أن الحكمين من أهله ومن أهلها سوف يكونان حريصين كل الحرص على الصلح والتوفيق بين ذويهم ، ولا يكون هناك ثمة حرج في أن يحكى أى من الطرفين الزوج أو الزوجة لقريبه ما يزعجه .

• النكد في مقابل الخطأ :

تستخدم بعض الزوجات أسلوب النكد الزوجي مقابل أى خطأ يقوم به الزوج في حقها ، والنكد الزوجي أسلوب له وسائل متعددة ، أقلها العبوس في وجه الزوج وحرمانه من الإبتسامة ، أو النظرة الطبيعية ، وإذا كانت الإبتسامة في وجه المسلم بصفة عامة قد جعلها الإسلام قربة إلى الله تعالى ، كما جاء في الحديث الشريف : « **وتبسمك في وجه أخيك صدقة** »[2] .

---

(١) صحيح البخاري (٦١٣١) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٥٦) وابن حبان في صحيحه (٤٧٤) ، (٥٢٩) .

فإنَّ تبسمَ الزوجة فى وجه زوجها بلا شك يصبح قربة إلى الله تعالى أشدُ استحباباً ، إذا احتسبت ذلك عند الله تعالى ، وهناك بعض النساء لديهن فنون فى النكد ، يستطعن بهذه الفنون النكدية أن يحطمن حياتهن الزوجية بدون أن يشعرن ثم بعد ذلك يشتكين من ظلم الأزواج وقسوتهم وقلة وفاءهم ، فالنكد الزوجى لم يكن يوماً من الأيام سبباً فى حل أى مشكلة زوجية ، ولم يكن سبباً فى أن يتنازل الزوج عما تكرهه الزوجة فيه ، إن أخطاء الأزواج من وجهة نظر الزوجات يمكن علاجها عن طريق التفاهم بين الطرفين ، وليس عن طريق النكد الذى تختلقه الزوجة ، والذى قد يتمثل فى جفاف المعاملة مع الزوج .

قامت سيدة أمريكية تدعى « ميلسا ساندرز باستطلاع للرأى على نحو ألف سيدة تتراوح أعمارهن الزوجية بين ثلاثة أعوام وعشرين عاماً على الزواج فتوصلت بعد هذا البحث والاستطلاع إلى أن معظم حالات انحراف الأزواج تأتى نتيجة لجفاف معاملة الزوجة » [(١)] .

إن الرجل بطبعه عنيد ، ويكره التحدى من زوجته ويعتبر أن سوء معاملتها له نوع من التمرد يستحق العقاب ، ومن ثم فإن النكد الزوجى سيؤدى إلى تفاقم المشكلات وليس إلى حلها ، إن الزوجة الذكية الواعية هى من تستوعب تصرفات زوجها أو أخطاءه التى لا تعجبها وتحاول أن تحلها بدون إثارة الزوج أو إغضابه ، ولتعلم الزوجة أنها حين تنغص على الزوج أو تنكد عليه أنها بذلك ترتكب إثماً عظيماً ، وتطيع الشيطان فى سبيل تحطيم حياتها الزوجية .

إن معالجة أخطاء الزوج يحتاج من الزوجة إلى نوع من الحكمة ، والصبر، وحسن العشرة لأن حسن عشرة الزوجة مع زوجها وحسن معاملتها إياه ،

---

(١) عن كتاب « كيف تكسب الأصدقاء » دايل كارينجى .

وطاعته سيمحو كل ما من شأنه أن يعكر الصفو بين الزوجين ، وسيجعل الزوج يغفر لزوجته ويتسامح معها ويقف مع نفسه وقفة محاولاً اصلاحها ، وسيدرك أن زوجته تتحمله وتتحمل أخطاءه فى حقها وأن عليه أن يقدّر لها هذا الأمر ، ويقدر صبرها معه ، وكل هذا بلا شك سيؤدى إلى تحسن فى السلوك من قبل الزوج ، والله تعالى يقول : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** (٣٤) ﴾[فصلت: ٣٤] فكيف بمن نحبه ويحبنا ؟!! ، أليس الأولى معاملته بالتى هى أحسن إن هو أخطأ ؟! .

• المبالغة فى الخصومة :

قد تقابل الزوجة أى خطأ من زوجها تجاهها بالخصومة ، والخصومة مع الشخص المخطئ أمر وارد لكن بشروط ، أهمها أن يكون هذا الأمر يستدعى الخصومة ، وأن لا تكون هذه الخصومة مبالغاً فيها ، فهناك بعض النساء لديهم مبالغة فى الخصومة ، وقد تكون هذه المبالغة فى الخصومة على أمور تافهة ، والمبالغة فى الخصومة أمر قد نهى عنه الإسلام ، بصفة عامة ، فكيف بمبالغة الزوجة فى خصومة زوجها ؟! .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :« **إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم** »[1] .

هذا بخصوص اللدود فى الخصومة بصفة عامة ، أما بالنسبة للحياة الزوجية فالأمر أشد ، لأنها علاقة لها من الخصوصية ما يجعل الخصومة فيها عامل هدم لها ، ولقد رأينا كثيراً ممن طلقوا زوجاتهم كان السبب والأساس عندهم أن زوجاتهم كن ذوات حساسية شديدة لكل ما يصدر من الزوج ويبالغن فى

---

(١) رواه البخارى (٢٣٢٥) ومسلم (٦٧٢٢) وغيرهما .

الخصومة وعدم الاستجابة للمصالح ، ورفض قبول الإعتذار .

ولقد حذر الرسول ﷺ من هذا السلوك ، وعدم قبول المعذرة ، فقال ﷺ : « **من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس** »[(١)] .

والمكس هو نوع خبيث من نهب أموال الناس ، ووعَدَ الرسول ﷺ صاحبه بالنار وبئس القرار ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يدخل الجنة صاحب مكس** »[(٢)] .

والحقيقة أن المبالغة فى الخصومة كرد فعل على خطأ الزوج فى زوجته أمر يزيد الأمر تعقيداً ، ويجعل الحل صعباً ، كما أنه يزيد الفجوة بين الزوجين ، ويجعل الزوج ييأس من مصالحة زوجته ، لأنه يكره تكرار الاعتذار ، بل إن الرجال بصفة عامة لا يحبون الإعتذار ، وهذا أمر فى طبيعة الرجل ، أن يعتذر الرجل هذا أمر ثقيل جداً ، هكذا هو ، بخلاف المرأة والتى فى طبيعتها سهولة الاعتذار ، وأنها لا تجد بأساً بأن تقول مثلاً « إنى آسفة » مثلاً .

تقول إيفان كريستان : « الاعتذار هو تعبير عن الأسف فى حال الخطأ بحق الآخر ، والمرأة تعترف بالأخطاء أكثر من الرجال ، لأن لوم الذات سهل عليها ، والمسألة المهمة بين الرجل هى المركز « المرتبة » من فوق ومن تحت ... والاعتذار يضع الرجال فى المرتبة الأدنى لذلك يجتنبونه »[(٣)] .

إذن الاعتذار من الرجال كما يقول علماء النفس أمر صعب ، لكنه من

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧١٨) .
(٢) رواه أبو داود (٢٩٣٧) .
(٣) « كيف تفهم الجنس الآخر » ايفان كريستان ، ترجمة / محمد خالد .

النساء أمر أقل صعوبة ، لإختلاف طبيعة الرجل والمرأة ، واختلاف نظرتهم للأمور ، فلا تبالغي أيتها الزوجة فى الخصومة ، ولا تطلبى الاعتذار من زوجك فى كل مرة ، فلن يفعل ، ولن تصلح الأمور بهذه الطريقة ، إنما عليك بحسن المعاملة وقبول المعذرة ، والسماحة والصبر ، فستجدين من زوجك حسن المعاملة أيضاً وكل الحب ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

● التذمر والقلق المستمر :

إن التذمر والقلق المستمر والإلحاح صفات تخضع لها كثير من النساء ، وبخاصة تجاه الزوج حين يفعل ما لا يعجبها ، أو حين يخطأ فى أمرٍ ما ، فمثلاً قد ينسى الزوج إحضار شيء ما للزوجة ، وقد ترهقه بطلبات كثيرة فيضطر لتأجيل بعضها ، وربما لعدم فعل البعض الآخر ، فإذا بزوجته تقول له : « لقد قلت لك ألف مرة ... » ويجد منها التذمر والتململ ، والرجال عادةً لا يحبون هذا من المرأة ، ولا يحبون التذمر ولا كثرة الإلحاح أو إصدار الأوامر : لماذا لم تحضر كذا .. ؟! ، لقد قلت لك إننى أريد كذا ، إنك غير مُبَالٍ بما أقول ... .

إن الرجال عادة لا يحبون تَلَقِى الأوامر ، إنهم يحبون إصدار الأوامر لا تلقيها تقول : إيفان كريستان : « الرجال لا يحبون الإصغاء للتذمر وأن يقال لهم ما عليهم عمله ، فهم يفضلون إعطاء الأوامر على تلقيها » (١) .

وقد تكون المرأة ذاتها مخطئة فى تصورها لخطأ الزوج خاصة فى موضوع القلق ، لأن المرأة بطبيعتها تحب التفكير فى كل شيء والدوران حوله ، ويمكن أن تقول أنها تفكر بنوع من القلق ، إنها خائفة من المستقبل ، كما أنها خائفة على صحة الأولاد ... إلخ ، إنها تخاف أموراً كثيرة ومن ثمَّ تقلق بشأنها ، فإذا

---

(١) « كيف تفهم الجنس الآخر » ايفان كريستان ، ترجمة / محمد خالد .

لم يشاركها زوجها هذا القلق تعتبره شخصاً سلبياً ، ولديه لا مبالاة ، وعدم اهتمام ببيته وأولاده وذلك لأنه لم يشاركها فى قلقها ، والحقيقة التى يجب أن تعلمها المرأة أن الرجال عادة أقل قلقاً من النساء ، ذلك لأن الرجال يهتمون بالفصل فى الأمور ، والحزم وعدم التردد ، ولا يحبون التفكير والقلق بشأن الأشياء ، هذا طبعاً بصفة عامة ، لكن قد يكون البعض ليس بهذه الدرجة من الحزم ، وهناك رجال قلقون ، لكن بصفة عامة الرجال أقل قلقاً من النساء .

ومن هنا فإن قلق الزوجة وتذمرها يسبب للزوج نوعاً من المشاكل المستعصية على الحل ، وقد يضطر إلى الإنفصال عن زوجته ، وهذا ما حدث فعلاً بشأن كثير من الزوجات ، تجد أن الرجل يعترف « أن زوجته جيدة وأم مخلصة ، لكنه لم يعد يتحمل العيش معها » [(١)] .

نعم إن القلق الكبير والتذمر المستمر من قبل الزوجة يجعل الحياة الزوجية مع تلك الزوجة مهمة صعبة ، لا يستطيع تحملها أى زوج ، مع العلم بأن هذه الزوجة القلقة المتذمرة قد لا تجد فى نفسها أنها مخطئة، وإذا سألتها عن ذلك ، قالت : إن زوجى هو السبب ، إن لديه لا مبالاة بأى شيء !! ، أيتها الزوجة المخلصة إذا أردت أن تعيشى حياة هنيئة ، فإن عليك أن تسمعى هذه النصيحة :

قليل من القلق ، قليل من التذمر ، كثير من الصبر ، كثير من الحب ، ولا تكثرى الإلحاح عليه ، فإن كثرة الإلحاح تولد الكراهية .

● مقارنة الزوج بغيره من الأزواج :

لا تخلو جلسات النساء مع بعضهن البعض من ذكر حالهن مع أزواجهن، وكثير منهن يبالغن فى وصف سعادتهن فى بيوتهن ، ومدى قيام أزواجهن

---

(١) المرجع السابق .

بحقهن ، وبعضهم يكذبن ويلفقن الحكايات ليظهرن أنهن أفضل من غيرهن ، والمرأة التى لا تدرك حقيقة تلك الأمور ، فتجلس تستمع من هذه عن زوجها ، ومن تلك ، فترى أن زوجها مقصر فى خدمتها ، ويرتكب فى حقها أخطاء معينة ، حسب ما سمعته من صديقاتها ، وقد يكون زوجها خيراً من أزواج هؤلاء لأنهن لا ينقلن الحقائق ، أو ينقلنها مبتورة منقوصة ، أو لأن أزواجهن لديهن عيوب كبيرة لكنهن طبعاً لا ينقلن هذه العيوب .

والخلاصة :

أن الزوجة التى لا تدرك طبيعة تلك المجالس والمبالغات التى تُحكى بها ،تخرج بصورة شبه مثالية عن الأزواج سوى زوجها ، لأنها ترى من زوجها حسنات وسيئات ، وتسمع عن غيره من أولئك الحسنات فقط ، ومن ثم تسخط على حياتها الزوجية ، وتظل تنتقد سلوكيات فى زوجها لم تكن تنتقدها من قبل ، وتطلب منه أموراً قد لا تكون فى استطاعته أو لا تناسب ظروفه ، فإن رفض قالت له : لماذا لا تكون مثل فلان أو فلان ؟!! ، إنهم مثلنا فى الظروف ومع ذلك يشترون كذا وكذا ... ويفعلون كذا وكذا .

أو تقول له : لماذا لا تترك وظيفتك هذه وتعمل مثل فلان فى وظيفة كذا ، إنه أحسن حالاً وأوفر مالاً ... إلخ .

وهكذا تحاول المرأة معالجة ما تراه من أخطاء للزوج عن طريق اقتباس حياة الآخرين ، ومعايشهم ومحاولة تطبيقها فى بيتها ، وإذا رجعت المرأة إلى نفسها لوجدت أن أسلوب التشبه بالآخرين فى كل صغيرة وكبيرة ، والنظر إلى ما عند الناس ، والتطلع إليهم ومحاولة عقد مقارنات دائماً بين حياتها وحياة غيرها ، وبين سلوك زوجها وسلوك غيره من الأزواج حسب ما تسمع ، لو رجعت المرأة إلى نفسها لوجدت كل هذه الأساليب أساليب خاطئة ، وتزيد تفاقم

المشكلات ، ولا تتسبب إلا في تعقيد الأمور أكثر وأكثر .

إن المرأة المسلمة عليها أن لا تتطلع لما عند غيرها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

لأن المرأة حين تتطلع لما عند غيرها تسخط على معيشتها وتزدرى نعمة الله عليها ، وهذا أمر محرم شرعاً .

عن أبي هريرة ﷺ قال : « **انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم** » [1] .

وعلى المرأة أن لا تقارن زوجها بغيره فربما هو أحسن حالاً وهى لا تعلم ، ولا شك أن النظر إلى الغير سبيل الشيطان إلى قلب الإنسان ليحزنه بذلك ، فلا نتبع خطوات الشيطان .

● ترك منزل الزوجية بدون إذن الزوج :

قد تظن المرأة أن ترك المنزل للزوج هكذا بدون إذن رداً على خطئه فى حقها ، تظن أن هذا يمثل علاجاً أو ردعاً للزوج عن خطئه مرة ثانية فى حق زوجته ، وهذا الأمر غير صحيح ، فترك الزوجة منزل زوجها بدون إذن هو فى حد ذاته خطأ كبيرٌ ، قد يكون أكبر من الخطأ الذى أخطأه الزوج فى حقها ، وليس من المعقول ولا من الصواب أن يعالج الخطأ بخطأ آخر ، أو بخطأ أكبر منه .

كما أن ترك الزوجة بيتها بدون إذن الزوج يوغر صدره عليها ، ويمثل تعدياً عليه وتمرداً ، ومن ثَمَّ يمكن أن يكون رده عنيفاً وسريعاً وغاضباً ، إذن

---

(١) رواه مسلم (٧٣٥٦) والترمذى (٢٥١٣) وقال : حديث صحيح ، وابن ماجه (٤١٤٢) والحاكم (٧٨٦٩) وقال : صحيح الإساد ، وأحمد (٩٨٨٦) .

هذا الأمر سوف يزيد المشكلة تفاقماً ولن يساعد فى حلها ، وقد وجدنا فى كثير من تلك الحالات التى تترك فيها الزوجة بيت زوجها نتيجة لخطئه فى حقها مثلاً ، يصمم الزوج على عدم مصالحة زوجته إلا أن تأتى هى بنفسها وترجع إلى بيتها – وهذا من حقه – وتصر أحياناً الزوجة على عدم العودة إلا بعد تصفية الأمور ، فتتعقد الأمور أكثر ، وقد يؤدى ذلك إلى الطلاق ...

هذا ومن المعلوم أن الزوجة يحرم عليها الخروج من بيتها إلا بإذنه ، فعن نافع عن ابن عمر أن امرأة لها مال ، تستأذن زوجها فى الحج فلم يأذن لها ، قال رسول الله ﷺ : « **ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها** ... » [(١)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب** » [(٢)] .

إن على الزوجة أن لا تتسرع فتعصى الله بخروجها بدون إذن زوجها ، ولكن عليها أن تعالج الأمر بحكمة ، فإن هى ظنت أن زوجها يخطئ فى حقها وأنها لا تتحمل أخطاءه أو أنه يؤذيها فإن لها أن تطلب التحكيم ، فيأتى حكم من أهله وحكم من أهلها ، ويحكى كل من الزوج والزوجة لحكمه الأمر ، لعل الله أن يصلح بينهما ، وتتقارب وجهات النظر ، ويرجع الزوج عن أخطائه فى حق الزوجة – إن كان مخطئاً – وتعود الزوجة إلى رشدها – إن كانت متجنية على الزوج ومتحاملة عليه – وتصفو النفوس ، مع أنه من الأفضل محاولة حل الخلافات ، ومعالجة الأمور بين الزوجين قبل اللجوء للتحكيم ، لأنه أحياناً يكون الحكمان على غير وعى ، ويتحامل كل منهما على الطرف

---

(١) سنن البيهقى الكبرى (٤٩٢/٧ – ١٠٢٥٨) .
(٢) سنن أبى يعلى (٣٤٠/٤) رقم الحديث (٢٤٥٥) .

الآخر ، ويؤيد صاحبه في خطئه ، فتتعقد الأمور أكثر ، وتزداد سوءً ، وقليلاً اليوم من العائلات من يكون منصفاً غير متحامل ، ويقول للمخطئ أنت مخطئ وإن كان قريبه أو يهمه أمره ، بل كثيراً ما يتحامل البعض على البعض الآخر ، وقد تأخذهم العزة بالإثم ، فليتق الله كُلُّ مَنْ يدخل حكماً بين اثنين وليحكم بالعدل ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة : ٨] .

● نسيان حسنات الزوج وإنكارها :

من الأخطاء الشائعة التي تقع فيها الزوجات عند الحديث عن أخطاء الأزواج ومحاولة علاجها ، أن هؤلاء الزوجات ينكرن أي فضل للأزواج ، وينسين حسنات الزواج ويتذكرن سيئاته فقط ، فتقول الواحدة منهن مثلاً : « لم أر منه خيراً قط » ، إنه كذا وكذا ، وتظل تعدد العيوب والأخطاء وتنسى في خضم ذلك كله إحسانه لها وإكرامه إياها فتوغر صدر الزوج بذلك ، ويشعر أنه مهما أحسن إليها فإنها تنسى بل وتنكر إحسانه ، ولا تتذكر سوى الإساءة ، وهذا النوع من النساء مرفوض في الإسلام لأنه نوع جاحد ، ينكر الفضل ، ويكفر العشير ، ومصيره عذاب الله إن لم يتب عن ذلك ، ولقد حذر الرسول ﷺ النساء من هذا السلوك فقال : « **أُرِيتُ النار فإذا أكثرُ أهلها النساء ، يكفرن** » ، قيل : أيكفرن بالله ؟ ، قال عليه الصلاة والسلام : « **يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدَّهر ثم رأتْ منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط** » [(١)] .

قال الحافظ في الفتح : « وقوله فيه « لو أحسنت إلى إحداهن الدهر » فيه

---

(١) رواه البخاري (٢٩) وغيره .

إشارة إلى وجود سبب التعذيب لأنها بذلك كالمصرة على كفر النعمة ، والإصرار على المعصية من أبواب العذاب » [(١)] .

إن أشد شيئ على الزواج أن يرى زوجته تنكر فضله عليها ، وتنسى كل حسناته ، وكل ما قدمه إليها – فى لحظة غضب – فتقول ما رأيت منه خيراً قط ، وهذا يحدث نتيجة جهل النساء الفاحش بفضل الزوج ، وجهلهن أيضاً بما ينبغي معاملته به من حسن العشرة وحسن الطاعة وحسن التبعل له ، فتتعامل بعض الزوجات مع أزواجهن معاملة الند ، ولا تطيع أمره ، بل تعتاد عصيانه ، وترى أن لها حقاً فى ذلك ، وهذا كما قلنا ينشأ أساساً نتيجة لجهل النساء بحق الزوج فى الإسلام على زوجته ، ونتيجة أيضاً لتشبه النساء المسلمات بغيرهن من الكافرات ، واللاتى يشاهدنهن فى وسائل الإعلام المختلفة ، وكذلك بعض الأفلام والأعمال الفنية والعربية والتى تقدم الحياة الزوجية بصورة غير صحيحة ، ولا تلتزم فى تقديمها بحقوق الزوج أو الزوجة بقيم الإسلام ومعايير الشريعة ، ومع كثرة الباطل وشيوعه وجلوس النساء فترات طويلة أمام التلفاز يتشبعن بتلك السلوكيات الماثلة أمامهن من تلك الزوجة أو من ذلك الزوج فى « الفيلم أو المسلسل » [(١)] ، ونحو ذلك ، لذلك فإن على الزوجة المسلمة أولاً أن تعرف فضل زوجها عليه ، وعظم حقه عليها وأنه ثواب طاعته وحسن التبعل له يعدل ثواب الصوم والصلاة بل والجهاد فى سبيل الله ، دخلت المرأة على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، إنى وافدة النساء إليك ، وأعلم نفسى لك الفداء ، أما أنه ما من امرأة كائنة فى شرق ولا غرب سمعت بمخرجى هذا أو لم تسمع إلا وهى على مثل رأيى ، إن الله

---

(١) فتح البارى (٣٧٣/١١) .

(٢) وهل أفسد الدين والعقول والقلوب وخرّب البيوت إلا هذا الجهاز الذى يبث السموم والعشق الحرام بزعم الحب والغرام .

بعثك بالحق إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بك وبإلهك الذى أرسلك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضي شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فُضلتم علينا بالجُمَعِ والجماعات وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً ، حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، فما نشارككم فى الأجر يارسول الله ؟ ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟ ، فقالوا يا رسول الله : ما ظننا أن المرأة تهتدى إلى مثل هذا ، فالتفت النبى ﷺ إليها ، ثم قال لها : انصرفى أيتها المرأة ، وأعلمى من خلفك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله » ، فأدبرت المرأة وهى تكبر وتهلل استبشاراً » [(١)] .

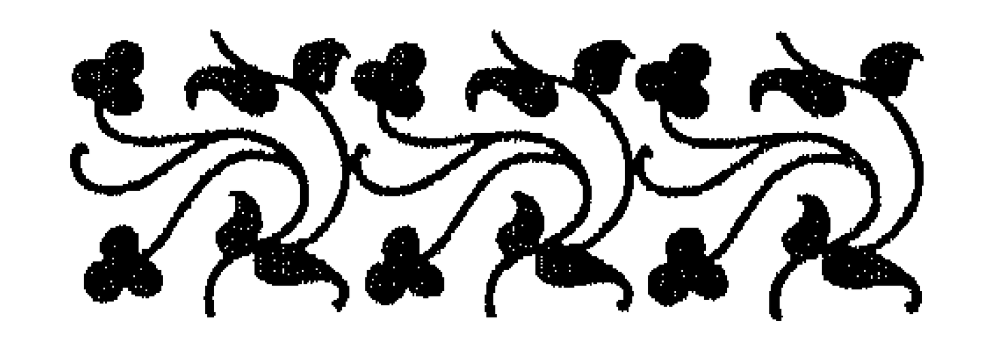
فهل بلغ المرأة اليوم الزوجة خصوصاً وصية الرسول ﷺ لتلك المرأة ؟ ، هل تعلم المرأة اليوم والزوجة بصفة خاصة أن طاعة الزوج وحسن التبعل له وابتغاءها مرضاته يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟! والله لو علمت الزوجة هذا الأمر لحُلّت كثير من مشاكل الأزواج والزوجات فى هذه الأيام ، هل بعد كل هذا يجوز للزوجة أن تنكر فضل زوجها وتكفر عشرته ؟! ، أما إتباع الغير على غير هدى من الله تعالى فهو أمر منكور ، والمفروض أن تتشبه المسلمة بغيرها فى أوجه الخير لا فى أوجه الشر ، والمفروض أن لا تتشبه بغيرها من الكفار مطلقاً لا فى الهدى الظاهر ولا فى الأخلاق والسلوك ، ومما يؤسف له تشبه بعض نساء المسلمين اليوم فى أخلاقهم بنساء الكفار ، خصوصاً فى معاملة الزوج ،

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٨٧٤٣) .

وحقوق الزوجين ، فالكفار لديهم عادات وتقاليد تختلف تماماً عنا ، وتلك العادات والتقاليد لا تقوم على أساس دينى ، بل هى من أهوائهم ، لذلك نجدها سببت هناك الكثير من التفكك الأسرى ، وضياع الأولاد وتشريدهم ، فهل من العقل والصواب أن نتشبه بهم فى مثل تلك الأمور ونحن قد منحنا الله دستوراً شاملاً ، ومنهاجاً قويماً يُصلحُ لنا أحوالنا كلها ؟! .

فالحذر من اتباعهم ، ثم الحذر من اتباعهم ، قال رسول الله ﷺ : « **لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه** »، قالوا : اليهود والنصارى ؟! ، قال : « **فمن** » [١] . [٢]



---

(١) رواه البخارى (٣٢٦٩) وغيره .

(٢) وقد حذرنا رسول ﷺ من التشبه بالكفار فقال : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أحمد وأبو داود عن ابن عمر بسند صحيح .

أخطاء المعلم في معالجة أخطاء الطلاب

• غياب القدوة عند معالجة أخطاء الطلاب :

إن محاولة اصلاح أخطاء الطلاب بمنأى عن إصلاح المعلم محاولة لا شك أقرب إلى الفشل منها إلى النجاح ، فالمعلم هو القدوة والمثل الأعلى لتلامذته ، فإن كان مستقيماً أنشأ جيلاً مستقيماً ، وإن كان معوجاً فكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟! .

فالتلميذ للمعلم كالطفل ، وكيفما يكون المعلم يكون التلميذ ، ومهما تكلم المعلم بالأمر والنهي وخالف فعله قوله ، فالعبرة بالفعل لا بالقول ، ولن يؤثر قوله فيمن حوله ، إلا أن تستجيب جوارحه أولاً ، ويطابق فعله قوله ، ويكون لسان حاله صورة للسان مقاله ، حتى لا يقع أولاً في المحظور الشرعي والنهي القرآني ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

وعن النبي ﷺ أنه قال : « **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ، ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه** » [(١)] .

ولخطورة هذا الموضوع ، وأهمية أن يكون المعلم قدوة حسنة لتلامذته فقد حرص الأمراء والملوك قديماً وبخاصة الأمراء المسلمين على اختيار أفضل

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٤) ومسلم (٧٤٠٨) وغيرهما .

المعلمين لأولادهم ، وكانوا يوصونهم بحسن السلوك والقدوة الحسنة ، ومما يذكر فى هذا المجال قول عقبة بن أبى سفيان لمربى أولاده حيث قال له :

« ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنىّ إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما حسَّنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكلّن على عذر منى ، فإنى قد اتكلت على كفاية منك » .

والطفل يتعلم بالتقليد ، فهو يقلد الكبار ، وخاصة من يحبهم مثل الأب والأم والمعلم ، وهكذا الكبار أيضاً ، فالإنسان بصفة عامة والطفل بصفة خاصة يؤثر فيه السلوك العملى بدرجة أكبر بكثير من الكلام ، ولأجل ذلك بعث الله الرسل وجعلهم خير الناس خلقاً حتى يكونوا قدوة صالحة للبشر يقتدون بهم فى أفعالهم ، وجعل الله تعالى لنا فى محمد ﷺ الأسوة والقدوة ، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١]

ونعود للمعلم فنقول : إن المعلم إذا أمر الطلاب بشىء ثم إذا هو يأتى بخلافه فلن يكون لأمره أى تأثير على خلق الطلاب ، حتى وإن استجابوا لكلامه فهو خوفاً منه لا اقتناعاً ، وسرعان ما يعيدون أدراجهم ، فمثلاً إذا كان المدرس يشرح درساً عن أضرار التدخين وينصح تلاميذه بالبعد عنه ، ثم إذا به بعد انتهاء الدرس يجده التلاميذ وفى يده سيجارة يدخن ، فسيذهب بلا شك كلامه مع الريح ، ولن يقتنع الطلاب بجدوى عدم التدخين لأنهم وجدوا القدوة والذى ينصحهم بالبعد عن التدخين هو نفسه يدخن ! .

وصدق الشاعر حين قال :

يا أيُّهـا الرجلُ المُعلمَ غيـرَه هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواءَ لذى السقام وذى الضنى كيما يصحَ به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

إن المدرس الكريم ينتفع الطلاب من كرمه ويتشبهون به ، وكذلك المدرس الصادق يصبح طلابه صادقين ، والمعلم الأمين يدعو الطلاب للأمانة بلسان الحال أكثر من لسان المقال ، وهكذا فإن المعلم القدوة فى كل الأخلاق الفاضلة يربى جيلاً فاضلاً على خلق كريم ، ويؤثر فيهم بأخلاقه قبل أى شيء آخر .

● السلبية التربوية :

إن المعلم ليس ناقلاً للمعرفة فحسب ، لكنه أيضاً مربى للشخصية ، فالطالب يتعلم الأخلاق من معلمه كما يتعلم منه سائر العلوم والمعارف ، لكن هناك بعض المعلمين يتسمون بالسلبية تجاه أخطاء المتعلمين ، فلا يعلقون على ما يرون من أخطاء ، ولا يحاولون تصويبها أو إصلاحها ، ويقولون : إن مهمتنا ليست مهمة أخلاقية ، إنها مهمة تعليمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ويدّعون أن أمر الأخلاق موكل إلى البيت والأسرة فحسب ، وليس هناك وقت لدى المعلم لتصويب هذه الأخطاء .

وهذا الكلام غير صحيح على إطلاقه ، فللبيت دور كما للمدرسة وللمعلمين دور آخر فى التربية الأخلاقية للطفل ، ثم إنه لا يمكن بأى حال من الأحوال فصل العملية التربوية الأخلاقية عن العملية التعليمية التثقيفية إن جاز التعبير ، وعلى سبيل المثال ، إن حسن استماع المتعلم للمعلم ، وحسن تعامل المتعلمين مع بعضهم البعض ومع معلميهم إلى غير ذلك من

السلوكيات ماهي إلا سلوكيات أخلاقية ، وإن كانت لازمة للعملية التعليمية ولا يمكن الإستغناء عنها ، إذن العملية التعليمية المعرفية والعملية التربوية الأخلاقية عمليتان متلازمتان ، ولا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى ، فالمعلم الذى يحاول أن يفصل بين هذه وتلك سوف يقع فى تناقض وحيرة .

هذا أمر ، وأمر آخر هو أن التلميذ أمانة فى عنق المعلم ورعية من رعيته التى استأمنه الله والناس عليها ، وفى الحديث : « **كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته** » [1] ، وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيّع** » [2] .

فالتلميذ أمانة فى عنق معلمه ، والله تعالى سائله عنه يوم القيامة ، فإن رأى المعلم عوجاً فى خلقه وجب عليه تقويمه ، بأفضل الوسائل التربوية ، إن لم يكن من باب الأمانة والمسؤولية ، فمن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، قال الله تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] .

وفى الحديث الصحيح : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان** » [3] ، وعنه ﷺ أيضاً : « **الدين النصيحة** »، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « **لله ،**

---

(١) رواه البخارى (٦٧١٩) ، ومسلم (٤٧٠١) وغيرهما .
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه (٤٤٩٣) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٧٥) .
(٣) رواه مسلم (١٧٥) وغيره .

ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1]

● معالجة الخطأ بعيداً عن واقع الطالب :

هناك بعض الطلاب لديهم مشاكل أسرية أو عائلية ، وهؤلاء الطلاب قد يتأثرون بدرجة أو بأخرى بهذه المشاكل في دراستهم ، وعند محاولة اصلاح أخطاء هؤلاء الطلاب الدراسية بعيداً عن تلك المشكلات غالباً ما تفشل تلك المحاولات ، ومن هنا كان من الواجب على المعلم عندما يلاحظ على طالب معين أنه طالب مجتهد لكن ثمة شيء ما يعوقه عن التقدم في دراسته ويتسبب في تأخره مرة بعد مرة ، من الواجب على المعلم في مثل هذه الحالة ألا يوبخ الطالب في كل مرة أو يعاقبه ويطلب منه الاجتهاد وإنما يجب عليه أن يبحث مشكلة هذا الطالب إن كان قريباً منه ، أو يوجه نظر الأخصائي الاجتماعي أو النفسي إلى مشكلة هذا الطالب لمناقشته ومحاولة حل هذه المشكلة ، وقد يكون الطالب محرجاً في البداية من الحديث مع أي من هؤلاء لكن عندما يعرف الطالب أن مشكلته مهما بلغت يمكن أن يتم حلها أو التغلب عليها بدرجة أو بأخرى أو مساعدته في حلها فإنه وبلا شك سوف يستجيب ، إن على المعلم أن يكون ذا نظرة ثاقبة في طلابه ، فيعرف من منهم الذي يعاني من مشكلة ، ومن منهم الذي هو في حد ذاته مشكلة ، وهناك فرق كبير في طريقة التعامل مع هذا وذاك ! .

● عدم التنسيق بين المعلمين في حل مشكلات الطلاب :

قد يكون هناك بعض الطلاب المشاغبين أو الذين يتسببون في حدوث المشاكل بصفة دائمة مع المدرسين داخل حجرة المدرسة ، وهؤلاء الطلاب يحتاجون إلى معاملة خاصة .

---

(١) رواه مسلم (١٩٤) وغيره .

كما يحتاجون إلى تنسيق بين المعلمين وبعضهم البعض فى طريقة علاج أخطاء هؤلاء الطلاب ، وإن ما يحدث غالباً من علاج كل واحد من المعلمين أخطاء هؤلاء الطلاب بطريقته الخاصة ، ما يحدث ليس إلا علاجاً مؤقتاً لمشاكل هؤلاء ، ولا يكون علاجاً جذرياً ، ولا يغير من شخصياتهم أو طريقة تفكيرهم أو من نشاطهم ، على سبيل المثال قد يستطيع معلم بطريقة ما أن يجبر مثل هؤلاء الطلاب فى حصته على الإلتزام بقواعد النظام والأدب ، لكن لا يغير من شخصياتهم بأن يجعلهم طلاباً مجتهدين مثلاً ، وبالتالى يلتزم هؤلاء الطلاب فى حصة هذا المعلم لكنهم لا يلتزمون بالنظام والأدب فى باقى الحصص ، وقد يجتهد معلم آخر فى محاولة إصلاح حال هؤلاء الطلاب فى مادته وييسر لهم طريقة مذاكرتها ... إلخ فيؤدى ذلك مثلاً إلى أن يهتم هؤلاء الطلاب بهذه المادة ويهملون باقى المواد لقصر نظرهم عن أهمية التكامل بين المواد وبعضها البعض ، وهكذا .

لكن العلاج الصحيح لمشاكل هؤلاء الطلاب يجب أن يحدث عن طريق التنسيق بين المعلمين جميعاً الذين يقومون بتعليمهم وبين إدارة المدرسة ، لإيجاد علاج جذرى وشامل لمشاكلهم .

● الإنفعال المتزايد عند معالجة الخطأ :

هناك بعض المعلمين لا يتحكمون فى أعصابهم عند حدوث بعض الأخطاء من الطلاب ، ومن ثم يواجهون الأخطاء غالباً بعصبية وانفعال غير طبيعى ، وهذا يؤثر بلا شك على طريقة مواجهتهم للمشكلة ، وقد يتصرف المعلم حينئذ بطريقة غير صحيحة فيضرب الطالب مثلاً بشدة فيؤذيه إيذاءً شديداً ، أو يؤذى نفسه أثناء اندفاعه ، فيسبب ذلك سخرية الطلبة منه وضحكهم على مواقفه ، أو غير ذلك من الأمور الغير محسوبة ، كما أن الطلاب حين يعرفون أن هذا المعلم ينفعل ويتعصّب يكونون على استعداد دائم

لإثارته من أجل التمتع برؤيته عصبياً ، وهذه مشكلة أكبر ، وليس هناك أفضل من مواجهة أى موقف مهما كان بهدوء أعصاب وروِّية ثم اتخاذ العقاب السليم والرادع فى نفس الوقت ، فليس الهدوء معناه السكوت عن الخطأ أو معاملته بطريقة غير مناسبة ، لكن الهدوء معناه إعطاء كل شيء قدره ، إن على المعلم أن يكون على درجة من ضبط النفس ، والتوازن ، ولا يظن أن الإنفعال المتزايد سوف يحل المشكلة ، إنه غالباً ما يعقدها ويوقع المعلم فى مشكلات لا حصر لها ، وفى الحديث النبوى الشريف : « **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** » [(١)] .

● اختزال علاج الأخطاء فى الضرب فقط :

ثارت مناقشات ومجالات واسعة فى الأوساط التربوية حول اعتماد الضرب كوسيلة من وسائل عقاب الطالب ، أو العقاب بصفة عامة ، فأنكر البعض أسلوب الضرب انكاراً مطلقاً ، وأيده البعض الآخر فى ظروف معينة ، وبغض النظر عن صلاحيته أو عدم صلاحيته كأسلوب عقابى أو كعلاج للخطأ ، فإنه لن يكون الوسيلة الوحيدة للعلاج ، كما أنه لن يكون أيضاً الوسيلة الأولى فى العلاج ، فالضرب وسيلة بلا شك من الوسائل المستخدمة فى تقويم العوج وعلاج الخطأ ، لكن هذه الوسيلة ليست الوسيلة الوحيدة ، وليست ما يبدأ به إصلاح الخطأ ، والإسلام قد اعتمد هذه الوسيلة لعلاج الخطأ الكبير ، والذى يسمى « كبيرة » فى الإسلام ، مثل جلد شارب الخمر ، وجلد قاذف المحصنات وجلد الزانى الأعزب ، وهذه الوسيلة سبقتها وسائل أخرى تربوية هادفة ، فقد سبقها تربية المجتمع تربية إيمانية على طاعة الله رب العالمين ، وعلى إقامة الصلاة « التى تنهى عن الفحشاء والمنكر » وعلى إيتاء الزكاة «

---

(١) رواه البخارى (٥٧٦٣) ومسلم (٦٥٨٦) وغيرهما .

التى تطهر النفوس » إلى غير ذلك من وسائل الإسلام التربوية العظيمة التى تربى النفس على الإيمان وعلى البعد عن المحرمات ، ثم وسيلة التهديد والتحذير من عاقبة اقتراف المحرمات فى الدنيا وفى الآخرة ، والتحذير من عقاب الله ، وعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يفعله الإنسان ، حتى يتقى الإنسان ربه عز وجل فيبتعد عما حرم الله ، قال تعالى : ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ [المجادلة : ٧] .

وآيات التحذير من عقاب الله كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** (١) ﴾ [الحج : ١] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** (٧) **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** (٨) ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] .

وفى الحديث : « **مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر** » [(١)] .

فالإسلام أقر أسلوب الضرب كأحد الأساليب العقابية ، لكنه وضع وسائل أخرى تربوية تحمى المجتمع من الإنحراف ، فإذا انحرف من انحرف بعد ذلك فهو عضو فاسد يحتاج إلى تقويم ، ثم وضع الإسلام ضوابط وشروطاً لهذا الضرب ، موضحة فى الفقه الإسلامى ، وتدل على رحمة الإسلام بالإنسان ، وعلى أن الضرب وسيلة عقابية تهذيبية ليس الهدف منها الإنتقام من المذنب ولا اهانته أو انتهاك حقوقه كإنسان ، إنما هدفها إصلاحه وإبعاده عن الإنحراف ، وكذلك يجب أن يكون المعلم مع تلميذه ، فلا يلجأ إلى الضرب كوسيلة أولية

---

(١) رواه أحمد (٦٧١٧) والحاكم (٧٠٨) .

للإصلاح ، إنما يبدأ بإقناع الطالب بخطأ ما يفعله ، ويبث فيه الأخلاق الفاضلة ، والقيم والمثل العليا ، ويمكث معه فترات طويلة على ذلك ، وقد يؤتى هذا الموضوع ثماره ، ويستقيم الطالب ، وهذا يحدث كثيراً .

فإن لم تفلح تلك الوسائل فالتهديد بالضرب قبل القيام به ، وقد يكون التهديد أجدى وأنفع من الضرب نفسه ، إذن الضرب آخر وسيلة للعقاب وليس الأولى ، كما أنه ليس الوسيلة الوحيدة .

أما المعلم الذى يختزل الوسائل التهذيبية كلها فى الضرب ، هذا المعلم لن يفلح فى علاج أخطاء طلابه ، فالطالب قد يرتدع عن الخطأ خوفاً من العقاب لا عن اقتناع بخطأ ما يفعله ، وعندما يعلم سلامته من العقاب لغياب المعلم عنه مثلاً ، سوف يعود أشرس مما كان عليه ، كما أن المعلم الذى يلجأ للضرب كوسيلة وحيدة لعلاج أخطاء الطلاب ، سوف يفشل فى السيطرة عليهم إن عُدِمَ هذه الوسيلة لظرف ما من الظروف الخارجية ، كأن تمنع الإدارة مثلاً عقاب الطلاب بطريقة الضرب ، أو يفتقد وسيلة الضرب المناسبة ، أو يقوم بالتدريس لطالبات لا يستطيع عقابهن بهذه الوسيلة .

● تحويل الطالب إلى الإدارة فى كل مرة :

بعض المعلمين يقومون بتحويل الطلاب إلى إدارة المدرسة لتقوم باتخاذ اللازم تجاههم عند صدور أى خطأ من أحدهم ، فالمعلم لا يقوم ببذل أى جهد منه محاولة لإصلاح أخطاء تلامذته ، ويكتفى بتحويلهم إلى الإدارة ، وهذا الأسلوب قد يظن المعلم أن فيه راحة كبيرة له ، لكن الحقيقة أنه يجلب له المتاعب ، فالطلاب سوف يدركون أن المعلم غير قادر على حل أى مشكلة فى فصله ، ومن ثم سوف يسخرون منه ، وسوف تزيد مشاكلهم ، ولن يستطيع تحويلهم جميعاً إلى الإدارة ، كما أن هذا حل غير عملى ، فإذا قام كل معلم

بتحويل كل طالب مخطئ إلى الإدارة فسوف تتكدس الإدارة بالطلاب ولن تستطيع أن تتخذ معهم الإجراءات المناسبة ، وقد تتهاون معهم فى العقاب ، لأن المعلم هو أقدر شخص على تحديد مقدار الخطأ الذى وقع فيه الطالب ، كما أنه هو أكثر شخص معرفة بنوع العقاب المناسب لذلك الخطأ ، إن تحويل الطلاب المخطئين فى كل مرة إلى إدارة المدرسة فيه نوع من السلبية لدى المعلم ، وفيه إرهاق كبير للإدارة ، كما أن فيه جانباً كبيراً من الخلل فى علاج أخطاء وتقويم اعوجاج التلاميذ ، فضلاً عما يجلب من زيادة التمرد فى الفصل المدرسى لشعور الطلاب بعدم قدرة المعلم على ضبط الفصل ، وعدم قدرته على عقاب المخطئ أو اتخاذ الإجراء الصحيح لتقويم اعوجاجه .

● استخدام المعلم ألفاظاً جارحة :

بالرغم من أهمية عنصر القدوة فى المعلم ، إلا أن بعض المعلمين لا يدركون هذا الأمر ، أو يغضون عنه الطرف فيستخدم بعضهم ألفاظاً جارحة يوجهها للطلاب المشاغبين أو المتمردين أو المخطئين ، وهذه الألفاظ قد يعتبرها البعض أمراً عادياً إلا أن الدين والخلق القويم يحكم بخطئها وبذاءتها وعدم صلاحيتها كأسلوب تربوى يستخدم مع الطلاب ، فالمعلم الذى يشتم طلابه بألفاظ بذيئة يضرب لهم أسوأ المثل فى الأخلاق ، ولن يحترمه الطلاب ، فليتق الله كل معلم ولا ينطق بمثل تلك الألفاظ ، وليبدلها بألفاظ أخرى محترمة وفيها نوع من التوبيخ ، وهى كثيرة ، وبهذا لن يحرج الطالب ، ولن يمس كرامته ، ولن يتعلم الطالب شيئاً مشيناً أو لفظاً بذيئاً ، لأن الطالب وإن كان يسمع مثل هذه الألفاظ من أناس غير محترمين فى الطريق ، لكن لن يجرأ مرة على التفوه بها ، أما إذا سمعها من معلمه فلن يجد غضاضة فى أن يستخدمها فى قاموسه اليومى ، وليذكر كل معلم مسلم أن الله تعالى أمرنا بالبعد عن

الفحش في القول والفعل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل : ٩٠] .

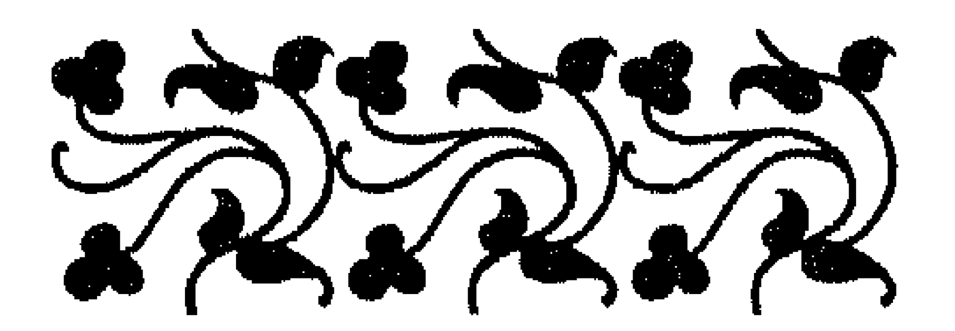
وفي الحديث الشريف : « **إن الله ليبغض الفاحش البذئ** » [١] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

عادل فتحي عبد الله

عفا الله عنه



---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٢) ، وقال : حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه (٥٩٦٣) وغيرهما .

الفهرس